الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي –صالحي أحمد– النعامة Naama University center –Salhi Ahmed

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان:

التّقديم والتّأخير في الجملة العربية وأثرهما البلاغي والجمالي

–سُورة الإسراء أنموذجاً–

ميدان اللغة والأدب العربي **شعبة الدّراسات اللغوية** **تخصص لسانيات عربية**

إعداد الطّالبين:

بـوقارة أســامة

بوعامر بوسماحة

إشراف الدكتور:

حجازي عبد الوهاب

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور	**دويس محمّد**	**رئيسا**
الأستاذ الدكتور	**بوعصابة عبد القادر**	**مناقشا**
الأستاذ الدكتور	**حجازي عبد الوهاب**	**مشرفا**

الموسم الجامعي 1444هـ الموافق لـ 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات　　قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : بوخامر بوسماحة

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) .....

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 201052573

الصادرة بتاريخ : 09/02/2017

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : الوقف والآخر وأثره البلاغي والجمالي - سورة الإسراء أنموذجا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023/06/12

توقيع المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : بوقارة أسامة

الصفة (طالب – ~~أستاذ~~ – باحث)

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 209138743

الصادرة بتاريخ : 2023/04/17

المسجل (ة) بكلية / معهد : معهد الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : التقديم والتأخير وأثره البلاغي والجمالي - سورة الإسراء أنموذجا -

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023/06/12

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أوّل من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النّهار، هو الله الواحد القهّار الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدّنا بأنعم كثيرة لا نعقل لها حدّا، فله الحمد والشّكر لا نحصي عليه ثناء هو كما أثنى على نفسه.

والشكر موصول إلى مشايخنا ووالدينا وأساتذتنا وإلى من علّمنا علما انتفعنا به.

كما نتقدّم بجزيل الشكر إلى مركزنا الجامعي الذي جمعنا على بصيرة في طلب العلم، إدارة وأساتذة وعمّالا والله ولي التوفيق والسّداد.

إهـــــــداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى:

والدينا الأعزّاء الذين ترعرعنا في كنفهم وعزّهم

واستقينا من حنانهم وعطفهم.

إلى من كان له الفضل في تمام هذا العمل.

إلى روح من كان معنا يسعى، فسبقنا إلى باب ربنا.

إلى إخواننا وخلّانا ومن قاربنا بالحسنى.

إلى من علّمنا ونفعنا.

إليهم جميعا.

مُـقـدّمـــــــــــة

مقدّمة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه وعلى توفيقه وهو ولينا ومولانا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى آله وصحبه صلاة كاملة وسلاما تاما إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ القرآن الكريم كلام بليغ لا يُملّ سماعه ولا يأتي بمثله إنس ولا جان، أعجب الخلائق من فرط بلاغته ومن بديع ألفاظه فكان معجزة وآية للعالمين، تناوله الدّارسون بمختلف اختصاصاتهم وراحوا يفتّرون عن كل بديعة فيه، ومن جُملة ما وجدوا فيه من إعجاز نجد التقديم والتأخير وهو من الأغراض البلاغية في علم المعاني، فما من لفظ تقدّم في كتاب الله على غيره أو تأخر إلاّ لغاية وحكمة تقتضي التدبر فيها.

ولمّا كان كتاب الله بحرا لا يحده شاطئ ولا تنقضي عجائبه ارتأينا أخذ سورة من سوره الكريمة والتماس ما فيها من تقديم وتأخير وذلك للأهمية التي يمتاز بها هذا الموضوع، فقد أفاضت المصنّفات القديمة والحديثة في دراسته وبيان أشكاله وفكِّ ما فيه من غموض، كما أنّه من أهم المباحث اللغوية فهو يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، ويتأمل التراكيب، لكي يُبرز ما يكمن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية، وممّا يؤكد أهميته كثرة استعماله في القرآن الكريم فلا تكاد تخلو آية من تقديم وتأخير.

وفي بحثنا هذا الموسوم بـ: "**التّقديم والتّأخير في الجملة العربية وأثرهما البلاغي والجمالي –سورة الإسراء أنموذجا–**"، كان من أهم الأسباب والدواعي التي دعتنا لاختياره كونه في المقام الأول مرتبطا بكلام الله، وما ارتبط بالله فهو غير منفصم وفيه أجر وافر، كما أن التقديم والتأخير من الأغراض الشريفة بعيدة الغاية ولا يقتصر على الجوانب البلاغية فقط بل يشمل الجوانب النحوية أيضا فكانت الاستفادة منه واسعة، وكان اختيارنا لسورة الإسراء كنموذج للدراسة عليها من أجل خصوصياتها وما تمتاز به، فهي من قديم ما أنزل من أوائل السور التي نصّت على قِيم الأخلاق والمجتمعات وقصّت معجزات كثيرة كمعجزة الإسراء، كما أننا لم نجد دراسات موسّعة للتقديم والتأخير في السورة إلا قليلا، فأخذنا بالقليل على سبيل الاستئناس وحاولنا التوسّع فيه، وهذا يؤدي بنا إلى طرح الإشكالية المتمثلة في: **كيف استعمل القرآن الكريم التقديم والتأخير في آياته؟ وما هو الأثر البلاغي الذي تركه في سورة الإسراء؟**

وللإجابة على هذه التساؤلات كان لابد لنا من رسم خطة تساعدنا على دراسة هذا البحث على حسب ما تقتضيه طبيعة الكتابة فيه، فارتأينا تقسيمه إلى مقدّمة ومدخل يُمهد موضوع الدراسة، ثم إلى مبحثين أولهما نظري، وثانيهما تطبيقي، ثم أنهينا البحث بخاتمة، فكان التقسيم كالآتي:

المقدّمة: وعرضنا فيها تعريفا بالموضوع وأهميته، ثمّ أسباب اختيارنا له وكيفية تقسيمه، والمنهج الذي اتبعناه في البحث، وختمنا بأهم الصعوبات التي واجهتنا.

المدخل: وتطرقنا فيه إلى التعريف بعلم النحو وعلم المعاني، والعلاقة التي بينهما.

الفصل الأول: وكان في التقديم والتأخير في الجملة العربية، وتضمّن هذا الفصل مبحثين، فكان المبحث الأول في الجملة العربية عند القدامى والمحدثين والتمسنا فيه ثلاثة مسائل، أولها: الجملة عند القدامى وكيف كان تأليفها وتعريفها عندهم؟ أمّا الثاني: فكان في الجملة العربية عند المحدثين والتمسنا فيه تأثير المدارس الغربية على الدراسات العربية للجملة، أمّا الثالث: فكان في الرتبة النحوية في الجملة العربية وتعرضنا فيه إلى مفهوم الرتبة النحوية وما هو أصل في ترتيب الجمل الاسمية والفعلية.

أمّا المبحث الثاني فكان في مواضع التقديم والتأخير وأثرها البلاغي وكان له ثلاثة مسائل أيضا، أولها: في مفهوم التقديم والتأخير وما جاء فيه من تعريفات، أما الثاني: فكان في مواضع التقديم والتأخير وموانعه، أما الثالث: فكان في أسباب التقديم والتأخير والأثر البلاغي الذي يتركه.

الفصل الثاني: وهو بلاغة التّقديم والتأخير في سورة الإسراء حاولنا فيه تطبيق فيه ما تقدّم على السورة، وتضمّن هذا الفصل مبحثين، فكان المبحث الأول في خصائص سورة الإسراء وأفضالها اشتمل على ثلاثة مسائل في التعريف بالسورة والأغراض التي حملتها وفي فضلها.

أمّا المبحث الثاني فكان في التقديم والتأخير في سورة الإسراء واقتضت دراسته تقسيمه على ثلاثة مسائل، أولها التقديم والتأخير في الجمل الإسمية، أمّا الثاني: فكان التقديم والتأخير في الجمل الفعلية، أمّا الثالث: فكان التقديم والتأخير في أشباه الجمل، فحاولنا فيه استنباط مواضع التقديم والتأخير من السورة ومعالجة الأثر البلاغي والجمالي الذي تركه في الآية.

الخاتمة: خُتِم بها بحثنا بأهمّ النتائج المُتوصّل إليها من خلال دراستنا للتقديم والتأخير في سورة الإسراء والأثار التي يتركها في تركيب الجملة العربية.

واعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع الجملة العربية وعرض حالات التّقديم والتأخير فيها وبيان أحكامها بين الجواز والوجوب والمنع، وبرز المنهج التحليلي في توضيح الدلالات التي سيقت بين آيات سورة الإسراء من تقديم وتأخير، وكان سير الدراسة على النحو التالي:

_ تحاشينا مواطن الخلاف بين النحويين والبلاغين في التّقديم والتأخير وحاولنا الجمع بينهما.

_ حاولنا تجنب الاستشهاد والتمثيل من القرآن الكريم في الفصل الأول، واستعنّا في ذلك بالأشعار العربية إن أمكن، وتركنا التمثيل من القرآن لموضوع سورتنا سورة الإسراء في الفصل الثاني.

_ وفي التهميش للمصادر والمراجع في بحثنا كنّا إذا ذكرناهم لأول مرّة دونّا دار النّشر ورقم الطبعة وسنتها ومكانها، مع ذكر المحقق إن وجد، فأذكر: الكتاب، ثم مؤلفه، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، فمكانها، فرقم الطبعة، فسنتها، فالجزء، فالصفحة، ثم نكتفي في ثاني المرة بذكر الكتاب ومؤلفه والصفحة.

_ أما في الفصل التطبيقي فحاولنا تبيين في كل موضعِ آية مدلولها اللغوي وإعرابها النحوي قبل العروج إلى الغرض البلاغي إن كان في الآية إشكال في فهم ألفاظها وإلاّ فنتجاوز ذلك إلى الغرض البلاغي للتقديم والتأخير في الآية، مع المراعاة في ذلك تفسير الآية وما قاله العلماء فيها.

ومن الدراسات السابقة التي عالجت موضوعنا وجدنا دراسة بعنوان: التقديم والتأخير في سورة الإسراء في ضوء علم المعاني، لخادمها إحسان عبد الله الجبوري، وقد وجدنا دراسات مشابهة ولكن لسور مختلفة حولنا الاستفادة منها والاستئناس بها.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع استخرجنا منه الآيات التي اشتملت على التقديم والتأخير، ومن كتب التّفسير نذكر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ومعالم التنزيل للبغوي، ومختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ومن كتب الحديث: صحيح البخاري، ومن معاجم اللغة: لسان العرب لابن منظور، وأساس البلاغة للزمخشري، ومن كتب النحو: الكتاب لسيبويه، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، والخصائص لابن جني، ومن كتب البلاغة: دلائل الإعجاز للجرجاني، والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، ومن دواوين العرب نذكر: ديوان الفرزدق وابن عنّين، ومن الكتب الحديثة نذكر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم لعلي أبو القاسم، والجملة العربية تأليفها وأقسامها لفاضل السمرائي.

وقد واجهتنا في بحثنا هذا صعوبات من بينها شساعة الموضوع وانقسامه على شقين أولهما نحوي وثانيهما بلاغي، كما أنّ دراسة القرآن والحكم فيه أمر حسّاس احتاج منّا إلى البحث المكثّف في تفاسير القرآن وإعرابه قبل الخوض في آياته، فعسى مغفرة من الله وفضلا.

هذا والحمد لله في أول الأمر في آخره أن وفّقنا وهدانا لهذا، ونسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة ابتغاء وجهه الكريم، وأن يرحم شيوخنا ووالدينا ومن علّمنا ويهبنا رضاهم، وأن يجعل جهدنا جهدا مباركا في ميزان حسناتنا إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل

أولا: مفهوم علم النحو.

ثانياً: مفهوم علم المعاني.

ثالثاً: علاقة علم النّحو بعلم المعاني.

أولا: مفهوم علم النحو:

الإنسان اجتماعي بطبعه يحتاج إلى لغة يعبر بها عن حاجاته، ويشارك بها مشاعره وأحاسيسه، وتتميز هذه اللغة بضوابط وأصول تُميّز الصحيح منها والفاسد الملحون، ومعلوم أن علم النحو هو الضابط في اللغة العربية، والذي يُعنى أول ما يُعنى بالنظر في أواخر الكلم، وما يعتريها من إعراب وبناء، كما يُعنى بأمور أخرى لا تقل أهمية، كالحذف والذّكر، والتقديم والتأخير، وتفسير بعض التعبيرات، غير أنه يولي العناية الأولى للإعراب.

أ. النّحو لغة:

للنّحو في اللغة معان عديدة ومختلفة فيما بينها، أوردها الفيروز آبادي(٨١٧هـ) في معجمه القاموس المحيط، في مادّة (النَّحيُ)، (النَّحوُ): "هو الطريق والجهة ج أنحاء، والنّحو والقصد يكون ظرفا واسما، ومنه نحو العربية، وجمعه نُحُو، ونِحية، كدلو ودِلية، ونحاه ينحاه، قصده، ونحا، مال على أحد شقيه..."[1].

وورد النحو عند أبي القاسم الزمخشري(٥٣٨هـ) في معجمه أساس البلاغة، في مادة (ن ح و): "هو على أنحاء شتى، لا يثبت على نحو واحد، ونحوت نحوه، وعنده نحو مائة رجل، وإنكم لتنظرون في نُحو كثيرة، وفلان نحوي من النحاة، وانتحاه قصده..."[2].

وجمع الإمام أحمد بن نصر الدّاودي(٤٠٢هـ)، معاني النّحو في اللغة العربية، فقال [من البسيط]:

للنّحو سبعُ معانٍ قَد أتَـت لُغة جَمعتُها ضِمن بيتٍ مُفردٍ كَمُلاَ

قَصدٌ ومِثلٌ ومِقدارٌ ونَاحيةٌ نَوعٌ وبـَعضٌ وحَرفٌ فَاحفظِ المَثلاَ[3]

وعليه فإنّ وُرود كلمة النّحو في جلّ المعاجم اللغوي لا يخرج عن معاني القصد والمثل والجهة، وهذا ما تشابهت فيه التعريفات في تلك المعاجم، وسمّي النّحو بهذا الاسم، لقصد المتكلم أن يتكلم مثل العرب في فصاحتهم، متجنباً في ذلك اللحن ومحافظا على سلامة نطقه.

ب. النّحو اصطلاحا:

من أشهر التعريفات المتعلقة بالنّحو نجد تعريف ابن جني(٣٩٢هـ)، إذْ يقول في كتابه الخصائص: "النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق

---

[1] **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، تق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط7، 2003، ص1337.

[2] **أساس البلاغة**، الزمخشري، تق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج2/ص257.

[3] **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003، ج1/ص15.

بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا"[1].

ويتبادر لنا من تعريف ابن جني للنّحو، أنّه محاكاة وإتباع للعرب في طريقة كلامهم، وتجنب اللحن في ذلك، حتى يتمكن غير العربي من أن يكون كالعربي في فصاحة لغته وسلامة نطقه عند الكلام.

ويعرّف الإمام الشّاطبي(٥٩٠هـ) النّحو، بقوله: "... وفي الاصطلاح علمٌ بالأحوال والأشكال التي بها تدلّ ألفاظ العرب على المعاني، أو أنه علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"[2].

ويظهر من تعريف الشاطبي أنه مزج بين مفهومي النّحو والصّرف، واشترط في ذلك أن يكون اللفظ الذي يدل على المعنى مستنبطا من كلام العرب ومُقاسا عليه، وذلك محافظةً على الأصل.

ويقول عبد الله بن أحمد الفاكهي(٩٧٢هـ)، في تعريفه للنّحو: "فحدّه، عِلم بأصول يُعرف بها أحوال الكلم إعراباً وبناءً"[3].

وما نستنتجه من هذه التعريفات التي سبقت، أن النّحو لا يغادر عن قاعدته الأصلية، والتي هي العلم بلغة العرب، والحذو حذوهم، واستنباط أصولهم في تركيب الكلم لإيصال المعنى، متجنبا في ذلك اللحن مع مراعاة أحوال أواخر الكلمات من إعراب وبناء، وبذلك يَحفَظ العربي لسانه من الخطأ، وقلمه من الزلل.

ثانياً: مفهوم علم المعاني:

يقول السكاكي(٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم، في تعريفه لعلم المعاني: "إنّه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[4].

ويظهر من تعريف السكاكي أن موضوع علم المعاني هو دراسة العلاقة بين تراكيب الكلام والحال، وما ينتج عن هذه المطابقة فيسميه "الإفادة والاستحسان"، ويشير أيضا أن كل حال يقتضي تركيبا مختلفا عن غيره، ومنه يُستنتج أن المطابقة بين التركيب الكلامي والحال أمرٌ موكول إلى المتكلم، في حين أن الإفادة والاستحسان أمران متروكان في حكم السّامع عند نجاح المتكلم في إقامة ذلك التطابق.

---

[1] **الخصائص**، ابن جني، تق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998، ج1/ص34.

[2] **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، الشاطبي، تق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1/ص17.

[3] **الحدود في النحو**، الفاكهي، تق: المتولي رمضان، دار التضامن، القاهرة، ط2، 1988، ص52 و53.

[4] **مفتاح العلوم**، السكاكي، تق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1983، ص161.

ويعرّف الخطيب القزويني(٧٣٩هـ) علم المعاني بقوله: "...وهو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[1].

ويعدّ القزويني من الأوائل الذين عنوا بتلخيص كتاب السكاكي مفتاح العلوم، واختصره في كتاب سمّاه تلخيص المفتاح، وأتبعه بعد ذلك بشرح في كتاب آخر سماه إيضاح التلخيص، تدارك فيه ما فاته وزاد عليه.

وركّز الإمام القزويني في تعريفه السابق على أحوال اللفظ، والذي هو عند السكاكي "تركيب الكلام"، ويَقصد بأحوال اللفظ هنا ما يشمل الجملة وأجزاءها، كالفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير وغير ذلك، وكيفية توظيف هذا اللفظ على الوجه المناسب للمقام، والذي هو مطابقة مقتضى الحال، وذلك بمعنى –الأثر الموقوف عن أبي الدّرداء(٣٨هـ)–: (لِكلّ مَقَامٍ مَقَـالٌ)[2].

وعليه، يمكننا أن نَخلُص ممّا سبق ذكره أنّ علم المعاني هو علم من علوم البلاغة العربية، والتي هي (علم المعاني، والبيان، والبديع)، وأول واضع له هو عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، وأشار إليه في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، موضوعه اللفظ العربي، وما يلحق به من أحوال حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال، بحيث يكون موافقا للهدف الذي سيق له، أما غرضه فهو جليل كونه يكشف الأسرار الجمالية في الإعجاز القرآني، ممّا خصه الله تعالى في كتابه الكريم من حسن وصفٍ وبراعة تركيب.

ثالثاً: علاقة علم النّحو بعلم المعاني:

تعدّ مسألة العلاقة بين علم النّحو وعلم المعاني من المسائل التي شغلت بال الكثير من علماء النّحو والبلاغة، وخاصة المحدثين منهم، إذ وقع الخلاف بينهم في أي قسم يجب أن يندرج علم المعاني، فمنهم من دعا إلى ضمّه إلى علم النّحو؛ بحكم أنّ المباحث التي يتناولها هي مباحث نحوية خالصة، ومنهم من عدّه فرعاً من فروع البلاغة؛ وذلك وفق ما صنّفه السكاكي ومن سار على نهجه، أمّا الاتجاه الثالث فهم الذين دعوا إلى التكامل بين النّحو والبلاغة، وأنّ علم المعاني هو حلقة الوصل بينهما، ولا سبيل للفصل في ذلك.

وتحاشيا لمواضع الخلاف نذكر ما جاء به علي النجدي ناصف(١٤٠٢هـ)، إذ يقول في علاقة علم المعاني بالنّحو:" ...فالمعنى يدرس أساليب التعبير في أحوالها المختلفة وصورها المتعددة، بما يكون فيها

[1] **التلخيص في علوم البلاغة**، القزويني، تق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2003، ص37.

[2] **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، أحمد العامري، تق: بكر أبو زيد، دار الراية، الأردن، ط1، 1991، ص76.

من ذكر وحذف، وإظهار وإضمار، وفصل ووصل، وما إلى ذلك، ليكشف عن أسرارها المصونة، ويستخرج لطائفها المكنونة، حتى إنه ليصحُّ أن يسمى بالبلاغة النحوية أو بالنّحو البلاغي"[1].

فعدّ علي النجدي العلاقة بين النحو والبلاغة علاقة تكامل وتلاحم، وذلك من خلال علم المعاني، كما أنّه يسميه بـ (البلاغة النحوية أو النحو البلاغي)، ذلك أنّ موضوعاته هي موضوعات بلاغية ونحوية في آن واحد، وتشتكرك فيما بينها كدراسة حال الإسناد والمسند إليه وغير ذلك.

ويقول عازم الشّجراوي في ذلك أيضاً:" البلاغة والنحو علمان توأمان تربط بينهما صلة قوية حميمة، لأن جذور هذين العلمين واحد، وأصولهما واحدة، وأهدافهما واحدة..."[2].

فبيّن لنا الشجراوي بذلك أنّ البلاغة موصولة بالنّحو، وتتّضح تلك الصلة في علم المعاني الذي يربط بين النّحو والبلاغة، فالباحث في اللغة لا يكتفي فقط بمعرفة القواعد والقوانين التي ينص عليها النّحو، بل يسعى إلى معرفة الدلالات، وجمالية الأسلوب والتركيب البلاغي، والتي هي من اختصاص علم المعاني.

وعليه وخلاصة لما سبق ذكره، نجد أنّ علم المعاني يتناول في دراسته نحو التراكيب والأساليب لا نحو المفردات، في حين أنّ علم النّحو يتناول معاني هذه التراكيب والأساليب، وتنوع أغراض المتكلم ومقاصده من خلالها، ومن أجل ذلك وجب عليه أن يتّصل بالنّحو والبلاغة معاً، وأن يكون هو خطّ الوصل بينهما، ومن خلال هذا الوِصال تتجلى بلاغة اللغة العربية وجمالية تركيبها.

[1] **سيبويه إمام النحاة**، علي النجدي ناصف، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009، ص189.

[2] **الفكر البلاغي عند النحويين العرب**، عزام الشجراوي، دار البسير، الأردن، ط1، 2002، ص18.

الفصل الأول:

التقديم والتّأخير في تركيب الجملة العربية.

أوّلا: الجملة العربية عند القدامى والمحدثين.

1_ الجملة العربية عند القدامى.

2_ الجملة العربية عند المحدثين.

3_ الرّتبة النّحوية في الجملة العربية.

ثانيا: مواضع التقديم والتأخير وأثرهما البلاغي.

1_ مفهوم التّقديم والتّأخير.

2_ مواضع التّقديم والتّأخير وموانعه.

3_ أسباب التّقديم والتّأخير وأثرهما البلاغي.

أولا: الجملة العربية عند القدامى والمحدثين:

تعدّ الجملة من أهم فروع علم اللغة، فهي المحور الأساسي الذي جعل الباحثين يعنونها قديما وحديثا، وهي البناء واللبنة الأساسية التي بها يستقيم الكلام، فكثرت مدارسها وتعدّدت مناهجها، واختلف العلماء بينهم عند وضعهم لحدودها، وذلك ناتج عن اختلاف توجهاتهم وأفكارهم واختلاف عصور دراستهم، فالقدامى لهم الفضل في الاجتهاد، والمحدثين لهم الفضل في التخصيص والتفصيل.

والجملة في مفهومها اللغوي: "جماعة كلّ شيء، ويقال: أخذ كلّ شيء جملة، وباعه جملة؛ مُتجَمّعا لا مُتفرّقا، والجملة (عند البلاغيين والنّحويين): كلّ كلام اشتمل على مسند ومسند إليه، (ج) جُمَلٍ"[1].

وعليه فالجملة في اللغة لا تخرج عن نطاق الجمع والتّجمع، وكل شيء جمعته مع بعضه وائتلف فهو مجمول وجملة، وفي النحو هو تركيب من الكلمات بعضها مع بعض أفادت لمعنى وحسن السكوت عليها.

1. الجملة العربية عند القدامى:

لم يكن للقدامى مفهوم محدّد للجملة كما هي بمفهومِها الحالي، وإنما كان توظيفهم لها في تصنيفاتهم من الجانب اللغوي فقط، ومن أمثال هؤلاء القدامى نذكر إمام النّحو سيبويه(١٨٠هـ)، فمصطلح الجملة لم يظهر –على شهرته– مع الدراسات النحوية التي عاصرته، ولم يتحدث في كتابه الذي يعد مرآة عاكسة لمدى نضج الجهود النّحوية في عصره عن الجملة بمعناها الاصطلاحي، وإنّما أوردها بمدلولها اللغوي[2].

❖ **الجملة عند سيبويه:**

رغم أنّه لم يذكر الجملة كمصطلح إلا أنّه عبّر عنها في بعض المواضع بمصطلح الكلام، فيقول: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا، وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا، وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[3].

---

[1] **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مصر–، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص136.

[2] **بناء الجملة العربية**، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003، ص21.

[3] **الكتاب**، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1/ص25 و26.

والملاحظ من قول سيبويه أنّ الكلام عنده قائم على أساسٍ من: تأليف التركيب، وبناء الأسلوب، وصدق المعنى ومطابقته للواقع، ووضّح حسن الاستقامة وفسادها حيث يكون التركيب خاضعا لما أجرته العرب في كلامها المألوف المستعمل، أمّا غير المستقيمة كالمُحال هي بجعل اللفظ في غير محلّه.

وبنى سيبويه الكلام (الجملة) عنده على شرط الإفادة، ووجود الإسناد، فيقول في الإفادة: "... ما يستغني عليه السكوت وما لا يستغني، بمنزلة واحدة، ألا ترى أنّ كان تعمل عمل ضرب، ولو قلت كان عبد الله لم يكن كلاما، ولو قلت ضُرب عبد الله كان كلاما"[1].

فيقصد بـ: "يستغني عليه السكوت" أي أنّه يحسن السكوت عليه، وأنه قد أفاد لمعنى، وبذلك يشكّل وحدة تبليغية تتمّ بها الفائدة للمخاطب، وتوصل إلى المعنى الذي سيقت له، ومثّل ذلك بقوله "كان كلاما".

أما في شرط الإسناد فقد ركّز عليه وعدّه عماد الكلام (الجملة)، فيقول: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّاً، فمن ذلك المبتدأ أو المبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله..."[2].

ويظهر من قول سيبويه أنّ المسند والمسند إليه هما بناء الجملة والنواة الأساسية لها، وهما مترابطان ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، والجملة عند سيبويه جعلها قسمان: اسمية وفعلية، فما بدأَت باسم كقوله "عبد الله أخوك" فهي جملة اسمية، والفعلية ما بُدأت بفعل كقوله: "يذهب عبد الله".

وما نخلص إليه من مفهوم الجملة عند سيبويه أنّه لم يستعمل الجملة بمعناها الاصطلاحي، وإنما أوردها بمعناها اللغوي، وذلك لا يعني أنّه لم يمثّل لها ببديل بالمفهوم النحوي، حيث جاءت بمفهوم الكلام بدلالات مختلفة، فهو يستخدمه بمعنى الحديث والنثر واللغة والجملة أيضا، والجملة في تصور سيبويه قطعة من الكلام مستغنية بنفسها يمكن السكوت أو انقطاع الكلام بعدها، وذلك ما دلّ عليه في باب المسند والمسند إليه.

❖ **الجملة عند المبرّد البصري:**

من أوائل النّحاة الذين استعملوا الجملة كمصطلح صريح نجد المبرّد البصري(٢٨٥هـ)، كونه ممّن اطّلع على دراسات سيبويه اللغوية بحكم العامل التاريخي، فيقول: "هذا باب الفاعل، وهو رَفعٌ وذلك قولك:

[1] **الكتاب**، سيبويه، ج2/ص90.

[2] نفسه: ج1/ص23.

قام عبدُ الله، وجلس زيدٌ. وإنّما كان الفاعل رفعاً لأنّه هو والفعل **جملة** يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء، والخبر إذا قلت: قام زيد فهو بمنزلة قولك: القائم زيد"[1].

ويبدو من قول المبرّد أنّه عرّف الجملة اصطلاحا بذكره شروطها كالإسناد والإفادة وتمام المعنى، وتحدّث عن تركيبها كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر. ورغم أن المبرّد أورد مصطلح الجملة إلاّ أنّه لم يذكر لها تقسيما صريحا، بيد أنّ بعض الدارسين حاولوا استنتاج تقسيم لها انطلاقا من قوله السابق، إذ يتبيّن من ذلك أنّ الجملة عنده قسمان: فعلية كقوله "قام زيد" والتي صدرها فعل، واسمية كقوله "القائم زيد" والتي صدرها اسم، كما أنّه أشار إلى عمدة الجملة وهما عنصرا الإسناد وجعلهما شرطا في الجملة لتحصل الفائدة للمخاطَب، كون أنّ المسند والمسند إليه لا يستغني أحدهما عن الآخر، إذ لا بدّ للمبتدأ من خبر في الجملة الاسمية، كما هو الحال للفعل والفاعل في الجملة الفعلية.

❖ **الجملة عند ابن جنّي:**

ومن النّحاة الذين تناولوا الجملة في تصانيفهم نجد ابن جني(٣٩٢هـ)، وهو من الذين ساووا بين مصطلحي الجملة والكلام وعدّهما شيئا واحدا، وذلك بقوله: "أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجُمل"[2]، وقوله أيضا: "الكلام هو الجُمل المستقلة بأنفسها الغنية عن غيرها"[3].

ومن تعريف ابن جنّي السابق يظهر لنا بوضوح أنّ الكلام عنده هو الجملة، ولم يخالف من سبقه في شروطها والتي هي الإفادة، والاستقلال التركيبي والدّلالي، ومعنى ذلك أنّها لا تكون مندرجة في بناءٍ نحوي أكبر منها ولا تحتاج في توضيح دلالتها إلى غيرها، كما أنّه أشار أيضا إلى تقسيمات الجملة وعناصر تركيبها فيقول: "وذلك أنّ الجمل إنّما تتركب من جزأين: إمّا اسم واسم، نحو المبتدأ وخبره، وإما فعل واسم، نحو الفعل والفاعل، وما أقيم من المفعولين مقام الفاعل، ولا بدّ في كل واحدة من هاتين الجملتين إذا عُقدت من اسم يسند إليه غيره"[4].

كما أنّ ابن جنّي بيّن الفرق الدلالي بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وبيّن اختصاص كلّ منهما في التعبير عن معنى معين، فيقول:" وهذا كقولك: إذا زرتني فأنا من يحسن إليك، أي فحَرِيٌّ بي أن من أُحسن إليك، ولو جاء بالفعل مصرّحا به فقال: إذا زرتني أُحسنُ إليك، لم يكن في لفظه ذكر عادته التي

[1] **المقتضب**، المبرّد، تح: عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط3، 1994، ج1/ص146.

[2] **الخصائص**، ابن جني، ج1/ص17.

[3] نفسه: ج1/ص18

[4] **سرّ صناعة الإعراب**، ابن جنّي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج1/ص288.

يستعملها من الإحسان إلى زائره، وجاز أن يُظن به عجز عنه"[1]، والمعنى المستقى من كلامه السّابق، أنّ الجملة الاسمية تفيد الدلالة على الدوام والثبوت أي أنّ طبع الإحسان أصل ثابت في المتكلم –من تمثيل ابن جنّي السابق–، أمّا في الجملة الفعلية فالمراد من دلالتها التجدد والحدوث والتغيير، بمعنى أنّ طبع الإحسان فيه تكلّف، وجاز أن يَظنّ السامع من قول المتكلم عجزا عنه.

❖ **الجملة عند عبد القاهر الجرجاني:**

ومن النّحاة القدامى الذين تعرضوا للجملة أيضا نذكر إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، ويرى أنّها والكلام أمران مترادفان، ويُقصد بكلّ واحد منهما ما يُقصد بالآخر دون الإشارة إلى تعميم أو تخصيص، إذ يقول في ذلك: "اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمّى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيدٌ، سمّي كلاما وسمّي جملة"[2].

ويرى الجرجاني أنّ الألفاظ لا تفيد لمعنى حتى تؤلّف ضربا خاصّا من التركيب بينها، وفي هذا دلالة منه إلى لزوم الإسناد في الجملة لتحقيق الإفادة، كما أنّه أشار إلى مسألة مهمة في الإسناد وهي مناسبة الألفاظ في مجاورة بعضها لبعض في الجملة، فيقول: "وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن يُنظر في وجوه كلّ باب وفروقه، فيُنظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق"[3].

فيظهر لنا من قول الجرجاني أنّ نظرته للجملة وتركيبها كانت في الجانب الأول من جهة دلالتها سواءً أكانت خبرا أم إنشاء، اسمية منها أو فعلية، فيراها نسيجا محكما، وذلك راجع إلى ترابط الألفاظ فيما بينها للوصول إلى المعنى المقصود الذي حاكه النّاظم لها، إذ لا يسوغ له –النّاظم– أن ينطق باللفظ ويراعي المعنى دون أن يُوجد بينهما ترابطا، وبحكم أنّ الجرجاني من أئمة البلاغة وهو صاحب نظرية النظم، فقد تناول الجملة وما يطرأ عليها من تغييرات من حذف وذكر، ووصل وفصل، وتقديم وتأخير، وغير ذلك في كتابه دلائل الإعجاز، وبيّن أسرار البلاغة في تلك الأغراض، وربطها بحاجة المتكلم وصلة اللفظ بغيره، إذ أنّ هذا الارتباط قائم على العلاقة الأساسية في الجملة، فيتبيّن من هذا الترابط المَقدِرةُ العالية للمتكلّم في أسلوب الخطاب، واستخدام اللغة، فتضفي مزايا ولطائف للنصّ.

---

[1] **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ابن جني، تح: علي نجدي الناصف وآخرون، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1987، ج2/ص274.

[2] **الجمل**، عبد القاهر الجرجاني، تح: علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، ط1، 1972، ص40.

[3] **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2005، ص81.

❖ **الجملة عند ابن هشام الأنصاري:**

أمّا من النّحاة الذين فَصَلوا الترادف بين الجملة والكلام فنجد ابن هشام الأنصاري(٧٦١هـ)، وقد خصّص باباً للنظر في الجملة باعتبارها قاعدة الكلام ووحدته الأساسية في كتابه مغني اللبيب، وذكر أنّ العلاقة بين الجملة والكلام هي علاقة عموم وخصوص، فقال في حدّ الكلام والجملة: "الكلام: هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه، والجملة: عبارة عن الفعل وفاعله كـ: قام زيد، والمبتدأ خبره كـ: زيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضُرب اللّص، وأقائم الزيدان، وكان زيد قائما، وظننته قائما"[1].

ويظهر من خلال تعريفه للكلام والجملة، أنّهما ليسا مترادفين؛ فبحسبه أنّ الكلام أعمُّ من الجملة، ويَشتَرِط في الكلام الإفادة والإسناد، أمّا الجملة فهي عبارة عن مركب إسنادي لا يحسن السكوت عليه، بمعنى أنّ الجملة إذا طال جريان الإسناد فيها وتعدّت إلى أكثر من مفعول واحتاجت لجواب لا تسمى كلاما حتى يحسن السكوت عليها، وقد مثّل لذلك بقوله: "...إذ شرطه الإفادة –الكلام–، بخلافها –الجملة– ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشّرط، جملة الجواب، جملة الصّلة، وكلّ ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام"[2].

وفي موضع آخر ذكر ابن هشام تفصيلا للمسألة السابقة فيقول: "ألا ترى أنّ نَحوَ: (قام زيدُ)، من قولك: (إن قام زيدٌ قام عمرٌ) يسمى جملة، ولا يسمّى كلاما؟ لأنه لا يحسن السكوت عليه"[3]، ومعنى قوله أنّه لا يمكن فصل الجملة الصغرى (قام زيد) عن الجملة الكبرى المتمثّلة في الشرط وجوابه وجَعْلِهِ كلاما.

كما أنّه تطرّق إلى أركان الجملة وجعلها على ثلاثة أقسام، فيقول في هذا الشأن: "انقسام الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية، فالاسمية: هي التي تصدّرها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق...، والفعلية: هي التي صدرها فعل، كـ قام زيد، وضُرب اللّص، وكان زيد قائما...، والظرفية: هي المصدّرة بظرف أو مجرور، نحو: أعندك زيد، أفي الدار زيد"[4]، وينبّه في هذه المسألة الخاصّة بالتّقسيم أنّه يجب النّظر إلى أصل الجملة قبل إدراجها في قسمها؛ فالمعتبر عند ابن هشام ما هو صدرٌ في الأصل، والمقصود بصدر الجملة المسند أو المسند إليه، وأنّ ما تقدّم على الصّدر من حروف فلا عبرة لذلك، فيقول في هذا الشأن: "والمعتبر

---

[1] **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، تح: مازن المبارك وعلي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط1، 1964، ص419.

[2] نفسه: ص419.

[3] **الإعراب عن قواعد الإعراب**، ابن هشام، تح: علي فؤاد نيل، جامعة الرياض، الرياض، ط1، 1998، ص35.

[4] **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، ص421.

أيضا ما هو صدرٌ في الأصل، فالجملة من نحو: (كيف جاء زيد) ومن نحو: ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[1]...، فعلية؛ لأنّ هذه الأسماء في نية التّأخير"[2].

والمُلاحظ أن ابن هشام يضع شروطا ثلاثة يُرتكز عليها في تقسيم الجملة، **أوّلها** التصدير: فكل ما تصدر الجملة له الحقّ في الحكم على جنس الجملة، ويُراعى في هذا **الشّرط الثاني**: أنّه لا عبرة بما تقدم التصدير من حروف، أما **الشرط الثالث**: فهو إرجاع الجملة إلى الأصل إذا ما حصل تقديم وتأخير في تركيبها لمعرفة جنسها، اسمية كانت أم فعلية أم ظرفية.

كما أنه يضيف إلى الجملة أشكالا وذلك بقوله أنّه هنالك جملة كبرى وجملة صغرى، وذلك يوحي بأنّ من الجمل مركبٌ وبسيطٌ، وأنّها يمكن أن تُحلّل إلى وحدات، كلّ وحدة مندرجة في وحدة أكبر منها، ومن ذلك قوله: "وإذا قيل: (زيدٌ أبوهُ غُلامُه منطلقٌ) فزيدٌ: مبتدأ أوّلٌ، وأبوه: مبتدأ ثانٍ، وغلامه: مبتدأ ثالثٌ، ومنطلقٌ: خبر الثّالث، والثّالثُ وخبرُه خبرُ الثّاني، والثّاني وخبره خبر الأول، ويسمّى المجموع جملةً كبرى، و (غلامُه منطلقٌ) جملةً صُغرى، و(أبوهُ غلامُه منطلقٌ) جملة كُبرى بالنسبة إلى (غلامُه منطلقٌ)، وصُغرى بالنسبة إلى (زيدٌ)"[3].

ومن خلال هذه الدراسة المقتضبة عن الجملة عند بعض القدماء عبر أحقاب زمنية متباينة، يظهر لنا أنهم قد اتّفقوا في تحديد مفهومٍ للجملة على أنّها هي: الكلام المركب المفيد فائدة يحسن السّكوت عليها، فاشترطوا في ذلك الإفادة والإسناد، وعدّوا الإسناد عمدة الكلام (الجملة) وهو الركن الأساسي في البناء، فلا بدّ للفعل من فاعل، كما لا بدّ للمبتدأ من خبر، ومع تعاقب الزمان اختلف النّحاة في مفهوم الكلام والجملة وذلك راجع لاختلاف مدارسهم والتنافس العلمي بينهم، فمنهم من سار نحو الترادف بينهما كابن جنّي، وعبد القاهر الجرجاني، ومنهم من خالف ذلك الترادف وفصَل بينهما كابن هشام الذي رأى أنّ الجملة مقتصرة على الإسناد في حين أن الكلام يشترط فيه الإفادة والإسناد معاً.

[1] **سورة غافر**، الآية: 81.

[2] **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، ص421.

[3] **الإعراب عن قواعد الإعراب**، ابن هشام، ص36.

2. الجملة العربية عند المحدَثين:

تأثّر المحدثون بالدراسات اللغوية الحديثة، وبالأفكار التي تتبناها المدارس اللسانية الغربية، ومع التّطور السّريع الذي تشهده اللغات صار لِزاما على اللغة العربية مسايرة هذه الحركة، فقد شهد الدّرس اللغوي محاولات جادة للتطور وذلك بإيجاد نظريات تسهلّ تَّعلم وتّعليم اللغة العربية، وبلا شكّ أنّ الدرس اللغوي العربي كان له أصل في بناء هذه النظريات الغربية، لما بلغه من نضج وتطور من خلال الدراسات القديمة التي اجتهد فيها النّحاة الأوائل، واستقى الكثير من اللغويين العرب المحدثين من هذه المدارس والمذاهب اللسانية الغربية، فكل مدرسة لها منهج واتجاه تدرس به اللغة، كالاتجاه: (البنيوي، والوصفي، والتحويلي، والوظيفي)، فحاولوا أن يعطوا للجملة مفهوما دقيقا ومحدّدا، ويدرسوها دراسة علمية.

❖ **الجملة عند إبراهيم أنيس:**

من المحدثين الذين تأثّروا بهذه المناهج نجد إبراهيم أنيس(١٣٩٧هـ)، وهو من الدّارسين الذين تلقوا علم اللغة الحديث في أوروبا وتأثر بهم، وحاول نقل هذه المناهج الغربية وتطبيقها على الدراسات اللغوية العربية، فيقول إبراهيم أنيس في تعريفه للجملة: "إنّ الجملة في أقصر صورها هي أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة أو أكثر، فإذا سأل القاضي أحد المتّهمين قائلا: (من كان معك وقت ارتكاب الجريمة؟)، فأجابه: (زيد)، فقد نطق هذا المتهمّ بكلام مفيد في أقصر صوره"[1].

ويظهر من تعريفه للجملة أنّه يجمع بين معياري الشكل والمضمون، فيجيز بذلك أن تكون الجملة مؤلّفة من كلمة واحدة، فلا يَشترط في ذلك فكرة الإسناد بوصفها شرطا أساسيا في بناء الجملة العربية للزوم صحة المعنى وتوفير الإفادة، وإنّما جعل المعنى الكامل المستقل بالفهم شرطا أساسيا لصحة الجملة ولو كان ذاك المعنى مؤلفا من كلمة واحدة، فتكفي تلك الكلمة أن تسمى جملة مفيدة تكفي بنفسها عن غيرها، وأوراد في تعريفه أنّ الجملة والكلام عنده أمر واحد ورادف بينهما.

كما يرى أنّ الجملة عبارة عن اصطلاح لغوي يُبنى من استعمالات المتكلّمين، فيُحَذّر بذلك من إقحام المفاهيم المنطقية في دراسة الجملة، فيقول: "فالجملة اصطلاح لغوي يجدر بنا أن نستقل به عن المنطق العقلي العام، وذلك لأنّ العادات اللغوية في كلّ بيئة هي التي تحدّد الجملة في لغة البيئة"[2]، ومعنى ذلك أنّ اللغة تمتاز في حركتها بالمرونة فلا تعرف الجمود، وصرامة المنطق لا تواكب هذه الحركة المستمرّة.

---

[1] **من أسرار اللغة**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط3، 1966، ص260 و261.

[2] نفسه: ص260.

❖ **الجملة عند مهدي المخزومي:**

ومن المحدثين أيضا نذكر مهدي المخزومي(١٤١٣هـ)، وهو من الذين انتقدوا آراء القدامى ويرى أنّهم قد فوّتوا الكثير من أصول الدرس النّحوي، فيرى أنّ الدّرس النحوي ينبغي له أن يعالج موضوعين مهمّين لا ينبغي أن يفرّط فيهما الدارسون لأنهما يمثلان وحدة دراسية لا تقبل التجزئة:

فالموضوع الأول: يمثّل الجملة من حيث تأليفها ونظامها ومن حيث طبيعتها وأجزائها، وما يطرأ على أجزائها أثناء التأليف من تقديم وتأخير وإظهار وإضمار، أما **الموضوع الثاني:** فهو ما يعرض الجملة من معان عامة تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض كالتوكيد والنّفي والاستفهام وأدواتها، وإلى غير ذلك من المعاني العامّة التي يعبّر عنها بالأدوات التي تمليها على المتكلمين مقتضيات الخطاب ومناسبات القول[1]، ويعرّف الجملة بقوله: "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبيّن للمتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزائه في ذهنه، ثمّ هي الوسيلة التي تنقل ما جاء في ذهن المتكلم إلى ذهن السّامع"[2]، وبناءً على تعريفه فالجملة عنده هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد التي موضوعها الفهم والإفهام، فهي ترتسم في ذهن السامع وتتشكل بشكل واضح لديه، فتبلغه رسالة المتكلم على وجه مفهوم وبمعنى مقصود، وذلك وفق شروط وقواعد محدّدة، ولا يكون الكلام تاما ولا الجملة مفيدة إلاّ إذا تحققت هذه الشروط.

كما أنّ المخزومي يفرّق بين مفهوم الجملة ومفهوم الجملة التّامة، فيقول: "والجملة التّامة التي تعبر عن أبسط الصور الذهنية التّامة التي يصحّ السكوت عليها، تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية، هي: ١.المسند إليه، ٢.المسند الذي يبنى على المسند إليه، ٣.الإسناد، أو ارتباط المسند بالمسند إليه"[3].

ويمكن أن نُجمل ما تصوّره المخزومي لمفهوم الجملة أنّه لم يكن بعيدا عن تصور النّحاة القدامى لها كسيبويه والمبرّد، وأقرب ما يكون من تصور ابن جنّي، إلاّ أنّ ما يميزّ المخزومي عن باقي النّحاة أنّه ناقش على ضوء مفهوم الجملة بعض التركيبات كالنداء والشرط، وخرج برأي آخر مستقلّ عمّا ذهب إليه النّحاة، فهو يشترط في الجملة: الاستقلال والإفادة والإسناد، فهذه الأركان عنده هي التي تقوم عليها الجملة العربية وإذا اختلّ منها ركن أخرج ذلك التركيب ولم يعدّه جملة، كما فعل مع أسلوب النداء والشرط لفقدها لشرط الإسناد، فأخرج بذلك جميع العبارات التي تخلو من التّركيب الإسنادي من دائرة الجمل، كما أنه يقسّم الجملة

[1] **في النحو العربي نقد وتوجيه**، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص28.

[2] نفسه: ص31.

[3] نفسه: الصفحة نفسها.

إلى قسمين: فعلية واسمية، ويردّ الجملة الظرفية والشرطية إليهما، وما يحدّد كون الجملة اسمية أم فعلية فالمخزومي يرجعها إلى مبنى المسند، فإذا كان مبنى المسند فعلا فالجملة فعلية، وإذا كان مبنى المسند اسما فهي اسمية.

❖ **الجملة عند تمّام حسّان:**

ومن المحدثين أيضا نذكر تمام حسان(١٤٣٢هـ)، الذي يمثّل الاتجاه الشكلي في شقّه الوظيفي، فقد تتلمذ على يد علماء اللغة الغربيين فتأثّر بهم وبنظرياتهم، وهو من الأوائل الذين دعوا إلى إعادة وصف اللغة العربية، وقد أعطى أهمية كبيرة للمعنى والإعراب في بحوثه مستخدما ترتيبا جديدا للموضوعات النّحوية فضلا عن إعادة تقسيمه للكلم العربي.

وقد أصبح من المتعارف عليه في الدراسات الحديثة أنّ الجملة تُتّخذ منطلقا لكلّ دراسة نحوية تروم وصف اللغة وتقعيدها، وتجعل من أهم أهدافها وصف بنيتها المجرّدة، وما يندرج تحت هذه البنية من أنماط، وما يرتبط بكل نمط من مقاصد ودلالات وضوابط تتحكم في الأبنية المُكوّنة ووظائفها.

ويعتبر تمام حسان الجملة وحدة من الكلام، فيقول: "ومن هنا جاء مصطلح (النمط التركيبي) ليدلّ على بناء الجملة من ركنيها وما عسى أن يكون ضروريا لعنصر الإفادة فيها...، أمّا ما عدا ذلك من أنماط الجمل فتقوم بنيته على الركنين وإن استتر أحدهما أو حذف بدليل، والجملة بعد ذلك لا يتضح من تركيبها النّحوي إلاّ أنّها اسمية أو فعلية، أمّا ما وراء ذلك فهو معلّق بقرائن مختلفة تتراوح ما بين الأداة والإعراب والربط والرتبة والتضام ثم السياق"[1].

ويرى من ذلك أنّ أصل وضع الجملة العربية هو نمطها المكوّن من ركنيها الأساسين المسند والسند إليه اللذان بهما تقوم الجملة، ويتضمّن كلّ منهما قائمة من الوظائف التركيبية والدلالية التي تحدد موقعه داخل الجملة، ففي الجملة الإسمية يعدّ المبتدأ مسندا إليه، والخبر مسندا، وفي الجملة الفعلية يحتلّ الفعل محل المسند، والفاعل أو نائب الفاعل محل المسند إليه، وإذا كانت أشكال الجملة النّواة تتنوع بتنوع تراكيبها وسياقات القول فيها، فإنّها تتوفّر على نمط رئيسٍ يبيّن أدوار عناصرها في أداء الفائدة التّامّة، فنصبح أمام شكلين تركيبيين هما:

- الجملة الفعلية: فعل+ فاعل أو نائب فاعل، نحو: قام محمّد، أو ضُرب زيدٌ.
- الجملة الإسمية: مبتدأ+ خبر، نحو: محمّد قائم.

[1] **البيان في روائع القرآن**، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص56.

ويَعتبر تمام حسان هذان الشكلان أصلا للجملة العربية؛ لأنّهما يتكونان من الملفوظات الدّنيا داخل التّراكيب العربية المختلفة، وكلّ استغناء من أحد المكونات قد يُخلّ بغرض التّأليف.

ولا شكّ أنّ تمّام قد أفاد من دراسة دي سوسير للعلاقات بين الكلمات داخل الجمل على نحو غير مباشر ؛ وذلك لتأثّره بمدرسة لندن التي تزعّمها أستاذه فيرث، وذلك عندما رأى أنّ اللغة أصبحت نظاما قائما بنفسه؛ أي يدرس في ذاته لذاته، وكون اللغة نظاما يقصد به أنّ البنية الأساسية في الجملة هي نفسها التي تصنع وحداتها وعلاقاتها أي أنّ النّظام ليس أمرا تجميعيا، لكنّه موجود بصفته كُلاًّ غير قابل للتجزئة، وقد مثّل لذلك بلعبة الشّطرنج، فأدواتها خارج اللعبة ليست سوى محتويات ساذجة لا قيمة لها[1].

وعلى ذلك نجد أنّه قد اعتمد على المنهج الوصفي في معالجته العلاقات الموجودة بين الكلمات في الجملة العربية للوصول إلى المعنى الدلالي فيها، فيرى أنّ في الجملة عددا من القرائن تعمل على نقل المعنى الدلالي بين المتكلم والسامع، وبتضافر هذه القرائن يُفهم المعنى المقصود الذي سيق له الكلام.

ويتبيّن ممّا سبق أنّه جاء بنظام جديد لدراسة الجملة، وهي نظريته المتمثلة في تضافر القرائن ووصفها بأنّها بديل عن نظرية العامل، وتفسيرٌ جديد للعلاقات النّحوية في الجملة العربية ويتكون هذا النّظام من نوعين أساسين من القرائن:

- **القرائن المعنوية:** وهي معاني النّحو أو العلاقات السياقية، وتضمّ: الإسناد، والتّخصيص، والنّسبة، والتبعية، والمخالفة.
- **القرائن اللفظية:** والتي تبيّن عن وظيفة كلّ عنصر بواسطة أشكال لفظية محددة، وتضمّ: العلامات الإعرابية، والرتبة بشقيها المحفوظ وغير المحفوظ، ومبنى الصيغة، والمطابقة، وغير ذلك[2].

ويُظهِر تمّام حسان عند تصنيفه لهذه القرائن، أنّ علاقة الإسناد مهمّة في الجملة العربية وهي محور كل العلاقات التّركيبة، فالعلاقات بين طرفي الإسناد علاقة وثيقة لا تحتاج إلى وساطة فيكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين المسند والمسند إليه دون التصريح بهذه العلاقة، كما أنّه يجعل هذه القرائن الملهم الرئيسي في تفسير الكثير من الظواهر النّحوية كالإعراب ومعاني الجمل.

❖ **الجملة عند عبد الرحمن أيوب:**

يعدّ عبد الرحمن أيوب(١٤٤٢هـ) من الذين استقوا علم اللغة الحديث من أوروبا، وحاول تطبيق مناهجها على اللغة العربية، وقد تجلّت هذه المحاولات في كتبه (دراسات نقدية في النحو العربي)، فبنى

[1] **دروس في الألسنية العامة**، دي سوسير، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1995، ص129.

[2] **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص191 وما بعدها.

نقده فيه على الانتساب الصريح للمدرسة التوزيعية ذات المنهج الوصفي، فقد دعا إلى استبعاد التعليل الفلسفي والمنطقي، واعتماد الشكل والوظيفة أساسا في تصنيف الوحدات اللغوية.

ويعتبر أنّ الكلام والجملة ليسا بالمترادفين فيقول في هذا الشأن: "ونتحدّث الآن عن الكلام، فنلاحظ من تعريف النحاة الذي ذكرناه له أنّه يصلح لأن يطلق على جملة واحدة، كما يصلح لأن يطلق كذلك على عدد لا حصر له من الجمل، الكلام إذن أعمّ من الجملة بهذا الاعتبار، ممّا هو قريب من رأي علماء اللغة المحدثين"[1]، فهو بهذا ينصّ على أنّ الكلام أعمّ من الجملة، وأنّ الجملة سواء كانت واحدة أو أكثر فهي كلام إن أفادت لمعنى، وإن لم تفد فعدّها غير كلام لأنها مهملة لا تفيد فائدة تامّة.

كما أنّه يدعو إلى تناول الجملة من مختلف مكوناتها من حيث هي ألفاظ متآلفة ونماذج متراكبة ونماذج من النغم وأخرى من النّبر، فيقول: "الجملة ليست مجرد مجموعة من الكلمات بل هي إلى جانب هذا العدد من النماذج التركيبية المتداخلة، ففي الجملة الواحدة، مثل: (هل قال؟)، نموذج لتركيب الكلمات هو (أداة استفهام+ فعل ماض)، ونموذج للنغم هو (نغم متوسط+ نغم مرتفع هابط)...، وتطبيق هذا العدد من النّماذج المجتمعة، بالإضافة إلى النطق بالكلمات، هو ما يكوِّن الجملة الواقعية التي تفيد فائدة يحسن السكوت عليها"[2]، ويدعو في هذا المقام إلى تحديد دلالة الجملة، هل يقصد بها الحدث اللغوي أو النموذج التركيبي الذي يأتي على مماثلة الأحداث اللغوية، ويرى أنّه من المهم التّفريق بين هذين الأمرين تفريقا كاملا حتى لا يحدث لُبس بين المثال والواقع، إذ إنّ علم النّحو هو علم النّماذج التّركيبية، وجميع التأويلات النحوية تفسِّر واقع الجملة، ونشير هنا إلى أنّ عبد الرحمن أيوب لا يشترط الإسناد كمقوم أساسي من مقومات الجملة وهو بذلك يقسّم الجملة إلى إسنادية وغير إسنادية.

وذكر أنّ النّحاة القدامى في تقسيمهم للجملة ذكروا أنّ لها قسمان اسمية وفعلية، ولكنه خالف رأيهم بعدّهم جملة النداء والتّعجب في خانة الجمل الفعلية، فيقول: "فعندنا أنّ الجمل في العربية نوعان: إسنادية وغير إسنادية، والجمل الإسنادية تنحصر في الجمل الإسمية والجمل الفعلية، أمّا الجمل غير الإسنادية، فهي جملة النداء وجملة نعم وبئس وجملة التعجّب، وهذه لا يمكن أن تعتبر من الجمل الفعلية لمجرد تأويل النّحاة لها بعبارات فعلية"[3].

---

[1] **دراسات نقدية في النّحو العربي**، عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصّباح، ط1، 1957، ص125.

[2] نفسه: ص126.

[3] نفسه: ص129.

وفي خلاصة هذه الدراسة التي تعتبر غيضا من فيض ما تقدم به النّحاة واللغويون في دراساتهم، نجد أننا قد تطرّقنا لأهم المحاور التي تناولها القدامى والمحدثون في درس الجملة، والتي انطلقنا بها من بداية نشوء المصطلح وكيف اهتم القدامى بوصف الجملة وتحديد وأقسامها وشروطها، والتضارب الذي كان بين الفريقين، الأول يطابق الجملة بالكلام ويرادف بينهما، والآخر ينفي ذلك التطابق ويعتبر الكلام أعمّ من الجملة، ثمّ عرجنا إلى الدراسة الحديثة للجملة عند المحدثين الذين كان تأثرهم بالدراسات الغربية بارزا في كتاباتهم، فسار كل واحد منهم نحو المنهج الذي استقى منه دراسته، وحاولوا تطبيق تلك الدراسات على اللغة العربية وذلك بأن يعطوا للجملة مفهوما دقيقا، وأن يساعدوا في تيسير تعلم اللغة وتعليمها، فظهرت نظريات أوجدها المحدثون حاولوا بها تجديد اللغة وجعلها مسايرة للتطور الحديث.

3. الرّتبة النّحوية في الجملة العربية:

تتميّز الجملة العربية بمرونة في تركيبها إذ أنّها غير محتّمٍ عليها الترتيب في ذلك، إلا أنّ ذلك لم يمنع النّحاة من وضع رتب تحفظ الأصل في أجزاء الكلام، فلكل عنصر من عناصر الجملة رتبة معينة، وتتمثل هذه العناصر في المسند والمسند إليه اللذان هما عمدة الكلام، وما يلحقهما والذي يسميه النّحاة بالفضلة، ويُراعى في ذلك نوع الجملة اسميةً كانت أو فعليةً، والعدول عن هاته الرّتب يمثّل نوعا من الخروج عن اللغة الطبيعية إلى اللغة الإبداعية.

١. مفهوم الرّتبة:

أ. الرّتبة لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (ر ت ب): "رَتَبَ الشيء، يرتُبُ رتُوباً: ثَبَت فلم يتحرّك، ورتَّبته ترتيبا: أثبَتَه...، والرَّتبَة: الواحدة من رتبات الدّرج، والرُّتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها"[1].

وفي معجم الوسيط: "رَتَبَ رُتُوبا: ثبت واستقر في المقام الصّعب، ورتَّبَه: أثبَتَه وأقَرَّه وجعله في مرتبته، ويقال: رتّب الطلائع في المراتب والمراقب، والرَّاتِب: يقال: رزق راتِبٌ: ثابتٌ دائمٌ، والرُّتبة: المنزلة والمكانة، أو المنزلة الرّفيعة (ج): رُتَبٌ"[2].

ومنه يتبيّن لنا أنّ الرّتبة كلّ أمر مستقر، أَصْلُ موضعه ثابت محفوظ، ومن ذلك المرتبة بمعنى الدّرجة والمنزلة كمراتب الدّين، ومراتب الجنة: أعلاها ثمّ ما يدنوها، ومنه ما أورده البوصيري(٦٩٦هـ) في لاميته (ذخر المعاد، في معارضة بانت سعاد) في مدح خير البرية ﷺ، فيقول [من البسيط]:

أَعْلَى المَرَاتِبِ عِندَ اللهِ رُتْبَتُهُ فَاعْلَمْ فَمَا مَوضِعُ المَحْبُوبِ مَجْهُولُ[3]

ومعنى ذلك أنّ رتبة النبيّ ﷺ عند الله هي أعلى المراتب، لأنّه حاز التّفضيل وسائر المناقب لكونه أفضل الأنبياء والرّسل وهادياً لاحته إلى قوم السُّبل، فبهذا الاعتبار صارت له الرُّتبة العليا[4].

---

[1] **لسان العرب**، ابن منظور، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1/ص410 و411.

[2] **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مصر–، ص326.

[3] **ديوان البوصيري**، شرف الدين البوصيري، تح: محمد سيد كيلاني، مكتبة مصفى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955، ص176.

[4] **عُجالة الزّاد في شرح ذخر المعاد**، محمّد بن محمود المدني، المكتبة السليمانية للمخطوطات، إسطنبول، رمز [2786]، ص99.

ب. الرّتبة اصطلاحا:

جاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية أنّ الرّتبة: "هي الموقع الذِّكري للكلمة في جملتها، فيقال: رتبة الفاعل التّقدم على المفعول، ورتبة المفعول التّأخّر عن الفاعل، ورتبة المبتدأ أن يتقدم على الخبر، ورتبة الخبر أن يتأخّر عن المبتدأ"[1].

ويقول تمّام حسان في الرتبة: "الرّتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه"[2].

وما نستنتجه من مفهوم الرتبة النحوية أنّها عبارة عن الموقع المخصص لكل جزء من أجزاء الجملة، فمنها ما أصله التصدّر أو التّقدّم، ومنها ما أصله التأخرّ، وقد جعلها النّحاة على قسمين: **رتب محفوظة** أو كما يسمّيها سيبويه **(لازمة)**: كتقدم الصّلة قبل الموصول وصدارة أسماء الشرط والاستفهام وغير ذلك، ومعنى ذلك أنها تخلّ بالتركيب إذ اختلّ تموقعها الأصلي، يقول سيبويه في حديثه عن (أنْ وأخواتها): "ولا تكون إلاّ في أوّل الكلام **لازمة** لموضعها لا تُفارقه"[3]، **ورتب غير محفوظة:** كرتبة المبتدأ والخبر والفعل والمفعول وغير ذلك، ومعنى ذلك أنّه يجوز تغيير الرّتب بينها، فالأصل في المبتدأ التقدم ولكن جوّزوا تأخيره إذا لم يُخل بالتركيب ولم يوقع لُبسا.

٢. الرّتبة في الجملة الاسمية:

الجملة الاسمية جملة إسنادية، يُسند فيها الخبر إلى المبتدأ، ويكون الأصل في المبتدأ أن يكون معرفةً، يُميَّز بينها وبين الجملة الفعلية في أنّها تتحرّر من الزمن، نحو قولك: زيدٌ راحلٌ؛ فالرحيل خبر مسندٌ إلى زيد، وزيد معرفة لأنه اسم من أسماء العلم، وزمن الرّحيل غير مقيّد في الجملة.

أ. الترتيب في الجملة الاسمية:

رتبة المبتدأ أسبق من رتبة الخبر في الأصل، يقول ابن مالك(٦٧٢هـ) في ألفيته: "وَالأَصلُ في الأَخْبارِ أن تُؤخّرا"[4]، نحو: زيدٌ أخوك، فيتعيّن المبتدأ (زيد) بأن يكون معروفا للمُخاطب، ويتعيّن الخبر (أخوك) بأنه هو المجهول عند المُخاطب، وبذلك تحصل الفائدة.

---

[1] **معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية**، محمد سمير اللبدي، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1985، ص92.

[2] **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، ص209.

[3] **الكتاب**، سيبويه، ج3/ص13.

[4] **ألفية ابن مالك في النّحو والصرف**، ابن مالك الأندلسي، سلسلة المتون العلمية، دار الإمام مالك، الجزائر، (ط م)، 2009، ص24.

وتدخل لام التوكيد على الجملة الاسمية، وتكون رتبتها أسبق من المبتدأ، نحو قولنا: لزيدٌ أخوك، وتتأخّر رتبتها وتتصدّر النّواسخ، فنقول: إنّ زيداً لأخوك، واللام المؤكّدة مفتوحةٌ غير عاملة[1]، وعلّة تأخّر اللام في المثال السابق؛ أنّ العرب في كلامهم "لم يجمعوا بين حرفي تأكيد"[2].

وقد يتقدّم على المبتدأ الأسماء التي لها حق الصّدارة فتصير أخبارا نحو قولنا: كم ثمن البضاعة؟ ومَن المنتصر؟ فتعيّنت (كم) و(من) للخبر؛ لأنّ جوابهما هو محط الفائدة، وبهذا تنحط رتبة المبتدأ لأنها سبقت بأسماء محفوظة الصدارة.

ب. حالات التزام الترتيب في الجملة الاسمية:

تلتزم الجملة الاسمية بالترتيب وفقا للقاعدة الأصلية في الرُّتب وذلك في أحوال منها:

- تقدم الفاعل نحو: زيدٌ جلسَ، وأسماء الصّدارة كالشّرط والاستفهام أو أحد النّواسخ.
- التّساوي بين المبتدأ والخبر في التعريف والتنكير، نحو: صديقي زيد، وأفضل منك أفضل مني.
- حصر الخبر في المبتدأ، نحو: ما لنا إلا الصبرُ.

ويظهر ممّا سبق أنّ لرتبة اللفظة في التّركيب دلالة في تأثيرها على المعنى، فهي الأصل والمرجع لفهم العلاقات بين مكونات الجملة في التركيب اللغوي؛ ممّا يؤدي إلى فهم المعنى الذي سِيق له تركيب الجملة بين المخاطب والسامع.

٣. الرّتبة في الجملة الفعلية:

تتكون عناصر الجملة الفعلية في اللغة العربية من الفعل والفاعل، وهما المسند والمسند إليه تواليا، ويسمّيهما النّحاة **بالعمدة** في الكلام، ثمّ يلحقهما الفضلة، وهي المفاعيل والحال التّمييز، والمجرورات، وهي متعلّقات بالفعل، نحو قولنا: انطلقَ زيدٌ مسرعاً، وتتميّز الجملة الفعلية بزمن الفعل فهو ماض من المثال السابق، وأسندنا الانطلاق إلى زيد، وتمثّلت الفضلة في وصف حالة الفعل (مسرعاً).

أ. الفعل:

تبدأ الجملة الفعلية بالفعل، والفعل يلي الاسم في الرّتبة، ورتبة الاسم شريفة، ومُنح الفعل الشّرف لأنه أشبهه[3]، ويأتي الفعل على أقسام: فعل ماض نحو: دخلَ، والمضارع : يدخلُ، والأمر: أدخلْ.

---

[1] **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، ص230.

[2] **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ابن الأنباري، تح: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1/ص217.

[3] **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، الصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1/ص58.

وتأتي رتبة الفاعل بعد الفعل وقبل المفعول به، وذلك حسب الأصل، إذا كان ظاهرا في القول، نحو قولنا: دعا **زيدٌ** ربّه، أو كان الفاعل ضميرا متّصلا بالفعل، نحو: دعوْتُ رَبّي، أو كان مستترا، نحو: دعا ربّه، أو كان الفاعل والمفعول ضميرين متّصلين بالفعل، نحو: دعوتُهُ، أو كان الفاعل والمفعول من الأسماء المقصورة، نحو: أكرمَ موسى عيسى، وفي المثال الأخير نجد أنّ فاعل الفعل غير معروف، لعدم ظهور الحركة الفاصلة بين الفاعل والمفعول، فتحكم الرّتبة أنّ ما يلي الفعل هو الفاعل كما هو الأصل.

ج. الفَضْلات:

الفضلة في اللغة من فضَلَ، وهو ما زاد على الحاجة[1]، وأمكن الاستغناء عنه، كقولنا: أنفقْ مما فَضَلَ من مالك، والفضلة في النحو: "خلاف العمدة، وهي ممّا يُستغنى عنه في الكلام وذلك كالمفاعيل والتّمييز والحال"[2]، ومعنى ذلك أنّ ما يلي المسند والمسند إليه عبارة عن فضلة لأنّ الفائدة قد تمّت للمخاطب، فأمكن الاستغناء عنها، وهذا في مواضع، لأن في بعض المواضع لا تتمّ الفائدة في الجملة إلا بذكر الفضلة، كقولنا: أحضرّ زيدٌ الكتاب، أو أحضر زيد الكتاب سليماً؛ فـ(الكتاب وسليماً) من المثالين السابقين مفعول به وحال تواليا وهما فضلة في أصل الجملة، ولكنهما يشكّلان مقتضى الفائدة للمتلقي، بمعنى أنّ غاية المتلقّي هي معرفة ماذا أحضر وكيف أحضره، وأنّ ما سبق عنده علم به (أحضر زيد شيئا)، ويمكننا أن نوجز في ذكر بعض الفَضْلات في الجملة الفعلية في:

- **<u>المفعول به</u>**: وتأتي رتبته بعد الفاعل مباشرة، ويقع في الأصل في جملة فعلية فعلها متعد، نحو: أكلتُ خبزاً، وينوب المفعول به عن الفاعل إذا كان مجهولا، نحو: أُكِلَ الخبزُ، وفي هذا ترتقي رتبة المفعول به وتكون بعد الفعل مباشرة.
- **<u>المفعول فيه</u>**: وهو ما دل على زمان أو مكان حدوث الفعل في الجملة، وذلك نحو: رأيتك **فوقَ** التّلّة، **صباحَ** اليوم، وفي هذا شرط محتّم ولازم لحدوث الفعل، فلا يُتصور حدوث فعل ما دون زمان أو مكان[3]، ويسمّى بالظرف ويأتي منقطعا عن الإضافة، ورتبته متأخّرة في الأصل، وقد يتقدّم على العمدة نحو: صباحاً زيدٌ راحل؛ والتّقدّم هنا جاء لغاية دلالية كجواب لسؤال متى زمن رحيل زيد.

ويقاس على ما سبق باقي المفاعيل كـ (المفعول له، والمفعول المطلق، والمفعول معه).

---

[1] **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مصر–، ص693.

[2] **معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية**، محمد سمير اللبدي، ص183.

[3] **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، تح: محمّد محي الدين، دار الفكر، بيروت، 1974، ج2/ص242.

- **الحال:** وغالبا ما يأتي الحال وصفاً فضلةً للدلالة على هيئة صاحبه، وهو منتقل، أو مشتقّ، نحو قولنا: صلّيت **فرداً**، ودعوت الله **منيباً**، تواليا، وهذه رتبة الحال الأصلية من النّاحية الإعرابية، وتأتي رتبة الحال الموقعية بعد رتبة صاحبها في الأصل، فرتبة الحال فضلة، ويجوز أن يتقدّم مخالفا الأصل نحو قول ابن مالك في هذا الشأن:

فَجَائِزٌ تَقْديمُهُ **كمُسْرِعاً** ذَا رَاحِلٌ، و**مُخلِصاً** زيدٌ دعَا[1]

- **التّمييز:** هو اسم نكرة متضمّن معنى (مِنْ) مفسّر لإبهام ذات أو نسبة، فالأول للواقع بعد المقادير، نحو: زرعت قنطارا **قمحاً**، والثّاني لما جاء لبيان ما تعلّق به العامل من فاعل، نحو: طاب زيد **نفساً**، أو مفعول، نحو: غرست الحقل **شجراً** [2]، ويذهب سيبويه أنّ التّمييز واجب التّأخّر فلا يجيز تقديمه[3]، نحو: **نفساً** طاب زيدٌ، وأجازه الكسائي وغيره.
- **التّوابع:** أجمع النّحاة على أنّ التّوابع أربعة: العطف، والتوكيد، والنّعت، والبدل، وجعلوها تحت مسمّى التوابع؛ لأن الدّرس النّحوي رصد قواسم مشتركة بينها، منها: أنّ ما يندمج تحت هذا العنوان تركيب يتكون من متبوع يليه تابع، يطابقه في الحالة الإعرابية كالنّصب والرّفع، والشكل الصّرفي كالتذكير والتأنيث والجمع والإفراد والتعريف والتّنكير، ورتبة المتبوع تكون موالية لتابعه ملاصقة له، وقد يلزمها حروف رابطة لذلك التتابع كحروف العطف[4].

وخلاصة هذا الموجز اليسير للرتبة النحوية، يمكننا حصر ما تناولناه في أنّ الأصل في تراكيب الجملة العربية مرتّبٌ، أوّلها العمدة وهما عنصرا الإسناد، ثمّ يليها الفضلة، ففي الجملة الاسمية يكون المبتدأ أولا ثمّ يليه خبره، نحو: زيدٌ صادقٌ، وفي الجملة الفعلية يكون الفعل متصدّرا ثمّ يليه فاعله ثمّ الفضلة، نحو: وزّع زيدٌ التّمر فرحاً، وهذا هو الأصل في ترتيب الألفاظ في الجمل، إلاّ أنّ ذلك لا يمنعُ من تغيير الأصل والقصد نحو الفرع، فاللغة العربية تتميز بمرونتها في ترتيب ألفاظها، والمتكلّم هو الذي يقدّم ويؤخر في رتب الجملة الثلاثة –المسند، والمسند إليه، والفضلة– وذلك لقصدِ حاجةٍ في نفسه، فالخروج عن الأصل قد يسمّى إبداعا، والرجوع إليه فضيلة تُمكّن متلقّي الخطاب من فهم مقصود المتكلّم والغاية من تقديمه للفظ عن محلّه.

---

[1] **ألفية ابن مالك في النّحو والصرف**، ابن مالك الأندلسي، ص59.

[2] **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، ج2/ص287.

[3] **الكتاب**، سيبويه، ج1/ص205.

[4] ينظر: **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، ج3/ص206 و216.

ثانياَ: مواضع التقديم والتأخير وأثره البلاغي:

امتاز العربي القديم بفصاحته وبلاغته في الكلام، وكان إذا تكلّم أسمع ولم يُمسك، وأوجز ولم يطنب، وأبان ولم يلبس، إلى أن جاء القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ ليختم على كلّ ما سبق، فكان هو المعجز المبين، الواضح البليغ، المحكم المنير.

وتجلّى ذلك في الأسلوب الذي اختصّ به القرآن عن غيره، وهو سرّ إعجازه، والمتمثل في أذواقه السليمة التي سمت على نظمه بحيث تنقطع دونها معارج البلاغة، وتنحط عن بيانها شموس البراعة، فتناسبت آياته وانسجمت، وتآلفت تراكيبه من حسن ابتداء وانتهاء، وتقديم وتأخير، وذكر وحذف.

1. مفهوم التّقديم والتّأخير:

١. التّقديم والتّأخير لغةً:

هما مصدران للفعل قدّم وأخّر، على زنة فعّل بتشديد عين الفعل، واسم الفاعل منهما المقدّم والمؤخّر وهما من أسماء الله الحسنى، وقد ورد في المعاجم العربية أنّ "(القاف والدال والميم) أصل يدل على سبق ورعف، ثمّ يفرغ عنه ما يقاربه، و(الألف، والخاء والراء) أصل واحد إليه ترجع فروعه"[1].

فجاء في أساس البلاغة في مادة (ق د م): "يقال تقدّمه وتقّدم عليه واستقدم وقدّمته وأقدمته بمعنى التّقديم، ومنه مقدّمة الجيش للجماعة المتقدّمة، والإقدام في الحرب"[2].

وجاء أيضا في لسان العرب لابن منظور(٨١١هـ) في نفس المادّة: "قالوا: القُدم والمقدّمة: السّابقة في الأمر، وتقدّم كقدّم...، فالقُدُم كلّ ما قدّمت من الخير، يقال مشى فلان القُدميّة والتّقدمية، إذا تقدّم في الشرف والفضل ولم يتأخر عن غيره في الإفضال على الناس"[3].

وفي نفس المادة أيضا جاء في معجم الوسيط: "قدّم فلان قُدما، تقدما: شجع، فهو قَدوم ومِقدام، وقَدَم قَوْماً: سبقهم فصار قدّامهم...، المُقدّم من أسمائه تعالى وهو الذي يُقدّم الأشياء في مواضعها...، والمقدّمة من كلّ شيء أوله"[4].

وعليه يمكننا أن نخلص ممّا سبق أنّ القُدُم هو أول الشيء والسّابق فيه، والتّقديم هو تحريك الآخِر نحو الأولية والتي هي ليست من أصله، فيكون لذلك سبب وعلّة دافعة.

---

[1] **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، علي أبو القاسم، دار الكتب الوطنية، ط1، 2006م، ج1/ص41.

[2] **أساس البلاغة**، الزمخشري، ج2/ص58 و59.

[3] **لسان العرب**، ابن منظور، ج12/ ص465 و466.

[4] **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مصر–، ص719 و720.

أمّا في مادّة (أ خ ر) فجاءت في أساس البلاغة: "أخر: جاؤوا عن آخرهم، والنّهار يحِرُّ عن آخرٍ فآخرٍ...، ومضى قدماً وتأخّر أُخراً، وجاؤوا في أخريات النّاس، ولا أكلمه آخر الدهر وأُخرى المنون، ونظر إليّ بمؤخرة عينه، وجئت أخيراً بأخِرَةٍ"[1].

وفي لسان العرب جاءت: "الأُخُر ضدّ القُدُم، تقول: مضى قُدما وتأخّر أخرا، والتّأخُّر ضدّ التقدُّم، وأخَّرته فتأخَّر، واستأخر كتأخّر، والتّأخير ضدّ التّقديم، ومؤخّرة كلّ شيء بالتّشديد: خلاف مقدّمه، يقال: ضرب مقدّم رأسه ومؤخّره"[2].

وفي معجم الوسيط: "أخّر: تأخّر و–الشيء: جعله بعد موضعه، والآخر: مقابل الأول، والأُخُرُ: ضدّ القُدُم، يقال: رجع أُخُراً، كما يقال: ذهب قُدُماً، والآخرة: مقابل الأولى و–من العين: ما جاور الصُّدغ"[3].

وخلاصة لكلّ ما سبق، نجد أنّ التّقديم مقابله التّأخير، والقُدم هو أوّل الشّيء والأُخُر ما أتى بعده، والتقديم في الشيء تحريك آخره نحو أوله، فيصير المُؤخَّر مقدَّما، والمُقدَّم مُؤخَّرا، ويكون لذلك سبب وعلّة اقتضته، نحو ذلك كقول ابن عنين(٦٣٠هـ) في ديوانه [من الكامل]:

إنَّ الجَهُولَ إذَا تَصَدَّرَ بِالغِنَى فِي مَجْـلِسٍ فَـوْقَ العَلِيمِ الفَاضِلِ
فَهوَ **المُؤَخَّرُ** فِي المَحَافِلِ كلِّهَا **كَـتَقَـدُّمِ** المفعُولِ فَوقَ الفَاعِـلِ[4]

٢. التّقديم والتّأخير اصطلاحا:

تزخر اللغة العربية بالعديد من الأغراض والأساليب البلاغية، وكان استعمالها شائعا عند العرب، وتميّزت بينهم في كيفية توظيفها، وهل أصاب المتكلم عند استعماله لذلك الغرض أم أخطأ، فكانت مقياسا لمدى فحولته وبلاغته، وحُسن اختياره، وتناسق قوله مع السياق الذي قيلت فيه.

ومن هذه الأغراض نخصّ بالذكر التّقديم والتّأخير، فقد كان من المسائل العامة في اللغة العربية، إلى أن قَدِم عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) في كتابه دلائل الإعجاز، ليشير في ذلك إلى العلاقة بين علم النّحو وعلم البلاغة والمتمثلة في علم المعاني وذلك في باب التقديم والتأخير، وهو باب مشترك بين علم النّحو وعلم المعاني، فيقول: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتِرُّ لك

[1] **أساس البلاغة**، الزمخشري، ج1/ص22.
[2] **لسان العرب**، ابن منظور، ج4/ص11 و12.
[3] **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مصر–، ص8 و9.
[4] **ديوان ابن عنين**، شرف الدين أبو المحاسن، تح: خليل مروم بك، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص123.

عن بديعةٍ، ويُفْضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعرا يروقك مَسمَعه، ويَلطُف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطُف عندك، أنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان"[1].

ومن أوائل من أشار إلى هذا الغرض نجد سيبويه(١٨٠هـ) وذلك في حديثه في باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعول، فيقول: "... وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله؛ لأنّك إنّما أردت به مؤخَّرا ما أردت به مقدّما، ولم تُرد أن تَشغل الفعل بأوَّلَ منه وإن كان مؤخّرا في اللفظ. فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيّد كثير، كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنَى، وإن كانا جميعا يُهِمّانِهم ويَعنِيانِهم"[2].

وما نستخلصه من قول سيبويه السّابق، نجده على قسمين: **أوّل ذلك** في أنّه عدّ التقديم والتأخير في رُتَب الجملة كتقدّم المفعول على الفاعل، أمرا صحيحا نحويا وهو ممّا سُمع عن العرب وشاع في استعمالاتهم، وذلك بقوله: "عربيٌّ جيّد كثير"، وأمّا الأمر **الثّاني** فهو متعلّق بدّلالة التّقديم والتأخير، وهذا ما نلتمسه في عبارته الأخيرة التي تفضي إلى أنّ العرب كانوا يقدّمون ما هو أهمُّ لهم، وما هو أعنى للمتلقّي بمعرفته، فيظهر من ذلك أنّ سيبويه وازن بين التقعيد المعيار المتمثل في الصّحة النّحوية، وبين الوصف الدلالي والذي هو مراعاة مقتضى حال المتكلّم والسّامع.

ويظهر التقديم والتأخير عند الجرجاني على وجهين أوردهم في كتابه دلائل الإعجاز فيقول:

" **تقديم يقال إنّه على نية التّأخير**: وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل كقولك (منطلق زيد) و(ضرب عمرا زيدٌ).

وتقديم لا على نية التأخير: ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلٌّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتُقدّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، ومثاله ما تصنع بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: (زيد المنطلق)، وأخرى (المنطلق زيد)، فأنت في هذا لم تقدّم (المنطلق) على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ"[3].

---

[1] **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، ص106.

[2] **الكتاب**، سيبويه، ج1/ص34.

[3] **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، ص106 و107.

ويقول الزّركشيّ(٧٩٤هـ): "القول في التّقديم والتّأخير: هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق، وقد اختلف في عدّه من المجاز؛ فمنهم من عدّه منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التّأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التّقديم، كالفاعل، نُقل كلٌ واحد منهما عن رتبته وحقّه"[1].

ويظهر من قول الزّركشي أنّه عدّ التقديم والتأخير من البلاغة، وهذا ما يذهب إليه جلُّ البلاغيين، وهذا ليس موضوعنا فقد أدرجنا في مدخل بحثنا على ضرورة الجمع بين النحو والبلاغة، وخاصة في علم المعاني الذي يمثل التكامل بينهما، فالفصل بين النّحو والبلاغة في ظاهرة التّقديم والتّأخير أمر صعب، لأنّ الرتبة تلحق بالنّحو، والدلالة تلحق بالبلاغة.

وفي المفهوم الاصطلاحي للتّقديم والتّأخير، لا نجده عند القدامى بالمفهوم المباشر كون السياق اللغوي أبلغ ويكفي للدلالة على المعنى المقصود، فقد شاع عندهم أنّ من المعضلات توضيح الواضحات، إلاّ أنّنا يمكننا أن نُجمله بالقول: "هو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدّمة لتحلّ محلّها كلمة أخرى، لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنّها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي"[2]، وفي هذا التّعريف نجده قد جمع بين حركة الكلمات داخل الجملة بتنقلها من رتبتها الأصلية والتي سمّاها بقاعدة الانضباط اللغوي إلى رتبة أخرى، وبين الغرض الذي تؤديه تلك الحركة أو النقلة والذي ما كانت لتؤديه لولا تلك النقلة، ومعنى ما سبق أنّه جمع بين القواعد اللغوية والأغراض البلاغية.

وخلاصة لما تطرقنا له في مفهوم التّقديم والتّأخير يمكنُنا الوصول إلى حوصلة مفادها أنّ أسلوب التّقديم والتّأخير من الأساليب البلاغية المهمة التي اهتمّ بها النحاة والبلاغيون على قدر سواء، وشغلت مباحث كثيرة في كتبهم، فعدّوها من باب الشجاعة والفصاحة، فالمستعمل لهذا الغرض يُبِين على قدرته العالية في ترتيب عناصر الجملة حسب مقتضى الحال، فيقدّم ويؤخّر في الجملة مع المحافظة على صحة التركيب وسلامة المعنى، فينتج عن ذلك بديع دلالة وحسن موقع وبراعة ترتيب، وكل هذا حاصل لفظٍ حُوّل من مكان لآخر، ويندرج التّقديم والتّأخير تحت فروع علم المعاني وهو من أساليبها، ويشترك مع علم النحو في دراسة هذا الأسلوب، فالنحو يدرس رتبة الألفاظ في الجملة وما يطرأ عليها من تغيير، وعلم المعاني يدرس دلالة تلك التغييرات.

---

[1] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1972، ج3/ص233.

[2] **بديع التّراكيب في شعر أبي تمّام–الكلمة والجملة**، منير سلطان، منشأ المعارف، الإسكندرية، ط3، 2002، ص138.

2. مواضع التّقديم والتّأخير وموانعه:

تحدّثنا سابقا عن الرّتبة النحوية وكيف رأى النّحاة الترتيب في الجملة العربية، فبيّنوا الأصل في ذلك الترتيب سواءً في الجملة الاسمية أو الفعلية، فالأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر في الجملة الاسمية، وأن يتقدّم الفعل على الفاعل في الجملة الفعلية ثمّ يلي ذلك المتعلقات بالفعل والتي يسميه النحاة بالفضْلات كالمفعولات والمجرورات والأحوال وغير ذلك، كما أنّهم عَدُّوا الخروج عن الأصل في الترتيب من باب الشجاعة وهو ممّا شاع عند العرب في استعمالاتهم، فرتّبوا في تصانيفهم مواضِع التقديم والتّأخير ووضعوا قواعد تضبط ذلك بين الوجوب والجواز والمنع.

١. مواضع تقديم الخبر على المبتدأ:

ذكرنا الأصل في الجملة الاسمية وهو تقديم المبتدأ على الخبر، إلاّ أنّ في الفرع قد يتقدم الخبر على المبتدأ وفق أغراض تخصّ التركيب النحوي أو أغراض يقتضيها المعنى فتلزم بذلك الوجوب والجواز.

أ. تقديم الخبر على المبتدأ وجوباً:

يتقدّم الخبر على المبتدأ وجوبا في مواضع نذكر من بينها[1]:

- إذا كان المبتدأ اسم نكرة غير مخصص بصفة أو إضافة، والخبر شبه جملة: وفي هذه الحالة يتقّدم الخبر على المبتدأ وجوبا سواء أكان الخبر جار ومجرور أم ظرفاً، وفي حال تأخر خبر الجملة أو شبه الجملة عن المبتدأ النكرة فقد يتوهّم السامع أنّ المتأخر صفة وليس خبرا، ولذلك وجب تقديمه، ومن أمثلة الجار والمجرور نذكر قول الشريف الرضي(٤٠٦هـ) في ديوانه [من الطويل]:

وَ**لِلحِلمِ أَوقاتٌ** وَلِلجَهلِ مِثلُها وَلَكِنَّ أَوقاتي إِلى الحِلمِ أَقرَبُ[2]

فشِبه الجملة المتمثلة في الجار والمجرور (للحلم) خبرٌ مقدّم وجوبا للمبتدأ (أوقات)، والملاحظ في المبتدأ أنّه اسم نكرة غير مخصّص بصفة أو إضافة.

ومن أمثلة الخبر ظرفا نذكر قول ابن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ) [من البسيط]:

بينَ الأهلَّةِ بدرٌ ما لَهُ فَلَكُ قَلْبي لهُ سُلَّمٌ والوجهُ مُشتركُ[3]

وفي هذا المثال تقدم الخبر الذي هو شِبه الجملة الظرفية (بين الأهلة) على المبتدأ (بدر)، والمبتدأ هنا مستوفٍ لشروط وجوب التأخر.

---

[1] ينظر: **الأساليب النّحوية، عرض وتطبيق**، محسن علي عطية، دار المناهج، الأردن، ط1، 2007، ص280.

[2] **ديوان الشريف الرضي**، الشريف الرضي، تح: محمد الحلو، دار الطليعة، باريس، ط1، 1977، ج1، ص280.

[3] **ديوان ابن عبد ربّه**، ابن عبد ربّه، تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1979، ص126.

- إذا كان المبتدأ متصلاً بضمير يعود على شيء من الخبر: وفي هذه الحالة لا يجوز للضمير أن يكون عائدا عل كلمة متأخرة في اللفظ والرتبة، نحو ذلك قولنا: **للمواقفِ رجالُهَا**، فشبه الجملة من الجار والمجرور مبنية في محلّ رفع خبر مقدم، ولا يجوز تأخير الخبر كقولنا: رجالُهَا للمواقفِ، إذ لا يكون الضمير عائدا على كلمة متأخرة في اللفظ والرتبة، والأصل أن يعود على ما تقدّمه في الترتيب.
- إذا كان الخبر مقصورا على المبتدأ محصورا فيه بإلا، أو إنّما: حيث يتقدّم الخبر وجوبا على المبتدأ بُغية قصر الصفة على موصوف واحد بحيث لا يتّصف بها أحد غيره، نحو ذلك قولنا: **إنّما الشجاعُ حمزةُ، وما الشجاعُ إلا حمزةُ**، وفي هذا قصر لصفة الشجاعة على حمزة دون غيره.
- إذا كان الخبر من الأسماء محفوظة الصدارة في الجملة: كأسماء الاستفهام، وأسماء الشّرط، نحو ذلك قولنا: **كيف الحالُ؟ ومتى الوقتُ؟**، وتقدّم هنا الخبر وجوبا (كيف، متى) لأنه من الأسماء محفوظة الصدارة، ويعرب الخبر هنا اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مقدّم.

ب. تقديم الخبر على المبتدأ جوازاً:

يجوز أن يتقدم الخبر على المبتدأ في مواضع نذكر من بينها[1]:

- إذا أُمن البس في الجملة ولم يُتوهم فيها الخبر من المبتدأ، نحو قولنا: **العلم نورٌ**، فيجوز تقديم الخبر في هذا، كقولنا: **نورٌ هوَ** على المجتهدين، من النور **العلمُ**، والضابط في هذا الموضع هو عدم التساوي بين الخبر والمبتدأ في التعريف والتنكير، فجاز تقديم الخبر.
- إذا تساوى المبتدأ والخبر في التّعريف وأُمن اللبس، نحو قولنا: زيدٌ الليثُ شجاعةً، فوجود التّمييز (شجاعة) أمن اللبس، وإذا لم يؤمن اللبس فلا يجوز تقديم الخبر.

٢. مواضع تقديم الفاعل على فعله:

ذكرنا فيما سبق أنّ رتبة الفاعل تكون بعد فعله نحو قولنا: قامَ زيدٌ، وتسمى هذه الجملة جملةً فعلية، وفي مسألة تقديم الفاعل على الفعل نحو: زيدٌ قامَ، ينقسم النحاة إلى فريقين، فمنهم من يرى أنّه لا يجوز بأي حال أن يتقدّم الفاعل على فعله، ولو تقدّم لتغيّرت طبيعة الجملة بالكامل وسميّت الجملة جملة اسمية وصار الفاعل المتقدّم على فعله مبتدأ، وهذا ما رجّحه البصريون[2].

---

[1] ينظر: **الأساليب النّحوية، عرض وتطبيق**، محسن علي عطية، ص283.

[2] ينظر: **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، الصبان، ج2/ص69.

أمّا الكوفيون[1] فأجازوا تقديم الفاعل ونائبه على الفعل مع بقائهما على حالهما، وذلك لأنّهم يُفضّلون تخريج النّصوص على ما فيها من ألفاظ دون تقدير أو حذف، واستدلّ الكوفيون على جواز تقديم الفاعل على فعله بقول الزّباء ملكة تدمر [من الرجز]:

مَا للجِمالِ **مَشْيُها وَئِيداً** أَجَندَلاً يَحمِلنَ أَم حَدِيداً[2]

فقولها: (مشيُها) فاعل مقدّم للصفة المشبهة التي تعمل عمل الفعل؛ وهي (وئيداً)، ولا يصحّ جعل (مشيُها) مبتدأ؛ لأنه لا خبر له في اللفظ إلاّ (وئيداً) وهو منصوب، وإذا تقدّم الفاعل على الصفة المشبهة وهي فرع في العمل، جوّزوا بذلك أنّ تقدّم الفاعل على الفعل أولى من تأخره.

٣. مواضع تقديم متعلقات الفعل على فعلها:

ويسمّيها النحاة بالفضلة وقد تطرقنا لها سابقا وذكرنا موضعها الأصلي في الجملة العربية، ومن أمثلة هذه المتعلقات نذكر المفاعيل والجار والمجرور والحال وما أشبههم.

أ. تقديم المفعول به على فعله:

من أساليب التّقديم والتّأخير في اللغة العربية تقديم المفعول به على فعله، فالأصل كما ذكرنا أن يتقدّم الفعل على المفعول نحو قولنا: أكملَ زيدٌ العملَ، ولكن قد يُخالف الأصل وذلك لأغراض معنوية أو تركيبية فيتقدّم المفعول على الفعل، يقول ابن مالك في هذا الشأن:

وقَد يُجاءُ بِخِلافِ الأَصلِ وقَد يَجِي المَفعُولُ قَبلَ الفِعلِ[3]

وقد يكون التقديم واجبا لأغراض يقتضيها تركيب الجملة النّحوية فلا يصحّ تأخير المفعول[4]، من ذلك:

- إذا كان فعله واقعا في جواب أمّا الشرطية التفصيلية المتضمنة لمعنى الشرط وكان غير منفصل عنها بفاصل غير المفعول به، نحو ذلك قولنا: أمّا الأمانةَ فَصُن، ويظهر من هذا المثال أنّ المفعول به (الأمانةَ) جاء متقدّما على الفعل (صُن)، ولو نظرنا إلى الفعل لوجدناه واقعا في جواب أمّا الشرطية التفصيلية، ولم يفصل بين الفعل وأمّا الشرطية غير المفعول به، لذا فتقديم المفعول به في هذا الموضع واجب.
- إذا كان المفعول به ضميراً منفصلاً إذا تأخر عن فعله وجب اتصاله، وضمير النصب المنفصل هو (إيّا) ويتكون من الحروف الأخرى الدالة على:

المتكلم نحو: إيّايَ، إيّانَا.

المخاطب نحو: إيّاك، إيّاكُما، إيّاكِ، إيّاكُم، إيّاكُنّ.

---

[1] ينظر: **معاني القرآن**، الفراء، تح: علي النّجار وأحمد نجاتي، دار الكتب المصرية، ط1، 1955، ج2/ص424.

[2] نفسه: ج2/ص424.

[3] **ألفية ابن مالك في النّحو والصرف**، ابن مالك الأندلسي، ص42.

[4] ينظر: **الأساليب النّحوية، عرض وتطبيق**، محسن علي عطية، ص292.

الغائب نحو: إيّاهُ، إيّاهَا، إيّاهُما، إيّاهُم، إيّاهُنَّ.

ومن أمثلة ذلك قول زيد ابن ثابت، في قصيدة له [من الطّويل]:

لَكَ الخَلقُ والنَّعمَاءُ والأمْرُ كُلُّه **فَإيّاكَ** نَستَهْدي **وإيَّاكَ** نعْبُدُ[1]

والملاحظ في هذا المثال أنّ ضمير النّصب (إيّاك) هو المفعول به، ولو لم يتقدّم لوجب اتصاله فيصير (نعبدك، ونستهديك)، ودلالة تقدم المفعول به هنا موجبة لخصوص العبادة وطلب الهداية من الله عزّ وجلّ وحده دون غيره، وكما ذكرنا أنّ ضمائر النصب المنفصلة اثنا عشر، وتعرب كاسمها: ضمير منفصل نصب مبني في محل نصب مفعول به مقدّم وجوبا، وهي من الثوابت الإعرابية.

- إذا كان المفعول به من الألفاظ محفوظة الصدارة في الكلام: كأسماء الاستفهام، والشرط، نحو ذلك قول المتنبي(٣٥٤هـ) [من مجزوء الرجز]:

أيَّ مَحلٍّ أَرتَقِي **أَيَّ** عَظيمٍ أَتّقِي[2]

ومن أمثلة أسماء الشرط نذكر قول أبي العتاهية(٢١٠هـ) [من الرمل]:

مَنْ يَعشْ يَكبَرْ و**مَن** يَكبَرْ يَمُت والمَنَايَا لاَ تُبَالِي مَن أَتَت[3]

والملاحظ من المثالين السّابقين أن المفعول به جاء مقدّماً، ففي الصورة الأولى جاء على هيئة اسم استفهام (أيَّ)، ويعرب: اسم استفهام مفعول به مقدّم وجوبا منصوب بالفتحة الظاهرة، أمّا في الصورة الثانية فجاء على هيئة اسم شرط (من)، ويعرب: اسم شرط مبني في محل نصب مفعول به مقدّم وجوباً، هذا في التّقديم الواجب للمفعول به، ويجوز أن يتقدم لأغراض بلاغية معنوية نحو قولنا: قرأتُ القرآنَ، فتصير: القرآنَ قرأتُ، وما شابه هذا فهو جائز عند النّحاة.

ب. تقديم الحال على عامله:

الأصل في الترتيب أن يتقدّم الفعل ثمّ صاحب الحال ثم الحال، نحو قولنا: رجعَ خالدٌ فرحاً، ويجوز أن يتقدّم الحال إمّا على صاحبه أو على الفعل وصاحبه معاً يقول ابن مالك:

فَجَائِزٌ تَقْديمُهُ **كمُسْرِعاً** ذَا رَاحِلٌ، و**مُخلِصاً** زيدٌ دعَا[4]

وذكرنا سابقا أن العرب كانت تُقدّم ما هو أهم لهم، وما هم ببيانه أعنى، فإن كان المتلقي يظنّ أنّ خالداً رجع عابساً لا فرحا، يقدّم في هذا الموضع الحال على فعلها لإزالة الوهم من ذهنه ولإرادة معنى التخصيص، فنقول: فرحاً رجعَ خالدٌ.

---

[1] **ديوان حسان بن ثابت**، حسان بن ثابت، تح: علي مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994، ص55.

[2] **ديوان المتنبي**، أبو الطيب المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983، ج2/ص40.

[3] **ديوان أبو العتاهية**، أبو العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص73.

[4] **ألفية ابن مالك في النّحو والصرف**، ابن مالك الأندلسي، ص59.

٤. موانع التقديم والتأخير في الجملة:

هناك مواضع يُمنع فيها التقديم والتأخير في الجملة العربية، فمن مواضع المنع قد تكون متعلّقة إمّا بالمعنى، أو بموقع الكلمة في الجملة، أو تتعلّق بالعمل.

أ. الموانع التي تتعلّق بالمعنى:

- **الإخلال بالمعنى:** فإذا أدّى التّقديم إلى إخلالٍ بالمعنى امتنع، وهذا نجده واضحا في وظيفة الحال؛ التي تتداخل دلاليّا مع وظائف نحوية أخرى، ففي قولك: كرُمتَ خالاً، فإنّ (خالاً) يحتمل التّمييز؛ والمعنى: كرُم خالُك، ويحتمل الحالية، فإن قدّمت فقلت: خالاً كرُمتُ؛ وجب كونه حالا، والمعنى: أنّه كرُم حال كونه خالاً[1]، وذلك "أنّ الأسماء التي تنتصب انتصاب التّمييز لا يجوز تقدّمها"[2].
- **أمن اللبس:** وذلك كأن يكون كلٌّ من المبتدأ والخبر –معرفة أو نكرة– في حالة تساوٍ، وكل واحد منهما صالح أن يكون مبتدأً، ولا مبيّن للمبتدأ من الخبر، نحو: زيدٌ أخوك، وأفضل من زيد أفضل من عمرو، ولا يجوز تقديم الخبر في هذا ونحوه[3].
- **القصر:** وذلك نحو قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[4]، فإنّه لو تقدّم الخبر لتضمّنت دلالة الآية نفي رسالات من سواه من الأنبياء الذين سبقوه.

ب. الموانع التي تتعلّق بالموقع (الصناعة النّحوية):

- **تقديم الصلة على الموصول:** فإنّه لا يجوز تقديم الصّلة أو جزءٍ منها على الموصول، "فإنّك لو قلت: الذي ضرب زيداً عمرٌو، فأردت أن تقدّم (زيدا) على (الذي) لم يجز، ولا يصلح أن تقدّم شيئا في الصلة؛ ظرفا كان أو غيره عل (الذي) البتّة"[5]، وكذلك الحروف المصدرية، فإنّه لا يصح أن يتقدم عليها شيء من صلتها، "فقولك: أن تقيم الصلاة خيرٌ لك، لا يجوز لك أن تقول: الصلاة أن تقيم خيرٌ لك، ولا تقدّم (تقيم) على (أن)"[6]، ومثله المضاف إليه وما اتّصل به على المضاف والتوابع.
- **تقديم الجواب على المجاب شرطا كان أو قسما:** جاء في الخصائص: "لا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطا كان أو قسما أو غيرهما؛ ألا تراك لا تقول: أقُم إن تَقُم، أمّا قولك: أقوم إن قمت، فإنّ (أقوم) ليس بجواب"[7].

---

[1] ينظر: **الجملة العربية– تأليفها وأقسامها**، فاضل السمرائي، دار الفكر، عمان، ط1، 2002، ص56.

[2] **الأصول في النّحو**، ابن السراج، تح: الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج2/ص299

[3] **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، ج1/ص232.

[4] **سورة آل عمران**، الآية: 144.

[5] **الأصول في النّحو**، ابن السراج، ج2/ص223.

[6] نفسه: ج2/ص224.

[7] **الخصائص**، ابن جني، ج3/ص387.

- **لا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل:** "نحو قولك: والطيالسةَ جاء البردُ... ولكنّه يجوز: جاءَ والطيالسةَ البرد"[1]، ولا يجوز التّقديم في هذا الباب؛ "لأنّ الواو: أصلها أن تكون للعطف، وحق المعطوف أن يكون بعد المعطوف عليه، كما أنّ حقّ الصفة أن تكون بعد الموصوف"[2].
- **التقديم على ما أصله التصدّر في الكلام:** وذلك نحو: لام الابتداء، ولام القسم، والاستفهام، وأحرف التنبيه وغيرها[3]، فإنّه لا يجوز تقديم ما بعدها على ما قبلها، فلا يصحّ قولنا: زيداً هل قابلتَ.
- **لا يتقدّم خبر (لا) النافية للجنس على اسمها مع بقاء عملها:** فلا يصح في (لا ريب فيه) أن تقول: (لا فيه ريب)، وذلك "أنّ خبرها لا يتقدّم على اسمها ولو كان ظرفا أو مجروراً"[4].

ج. الموانع التي تتعلّق بالعمل:

- **الأفعال غير المتصرّفة:** فإنّه "لا يجوز أن يقدّم عليها شيء ممّا عملت فيه، وهي: نِعمَ، وبِئس وأفعال التّعجب، و(ليس): تجري عند ذلك المُجرى لأنّها غير متصرّفة، ومنه: صه وعليك، وما أشبه هذا أبعد في التّقديم والتّأخير"[5]، فمعمول اسم الفعل لا يتقدّم عليه؛ إذ يجب تأخيره عنه فتقول: دراكِ زيدا، ولا يجوز تقديمه عليه فلا تقول: زيداً دراكِ.
- **معمول اسم التّفضيل:** فإنّه "لا يتقدّم عليه في نحو: لهوَ أَكفَؤُهم ناصراً، وهو خشية اختلاط المعنى"[6]، لأن اسم التّفضيل لا يقوى قوة الفعل فيعمل فيما قبله.
- **ما عمل فيه حرف لا يقدّم على الحرف:** وعليه فإنّ "حروف الجرّ لا يجوز أن يقدّم عليها ما عملت فيه، ولا يجوز أن يفرق بينها وبين ما تعمل فيه، وكذلك إنّ وأخواتها: فإنه لا يجوز أن يُقدّم عليهنّ ما عملن فيه"[7].

وعليه وخلاصة لهذا المطلب الذي تطرقنا فيه إلى نبذة عن مواضع التّقديم والتأخير ومظاهر الوجوب والجواز ومنع فيه، ففي تقدّم طرفٍ في الجملة وجب على طرفٍ آخر أن يتأخر وهذه حتميةٌ في هذا الباب، ويعد هذا الغرض من الإبداع الأدبي واللغوي، ومن باب الشجاعة ومن النباهة والإحاطة الواسعة بقواعد اللغة وضوابطها، فللغة ضوابط إما توجب التقديم في عناصر الجملة كما ذكرنا في حالة مخافة اللبس ومخافة الوقوع في التوهم، فلو لم يقدِّم النّاظم للكلام في مقطع من مقاطع كلامه لكان كلامه تشوبه شائبة ولا يُفهم المغزى من نظمه، وهناك مواضع الإجازة وهي المواضع التي لا يكون فيها لُبس ويُفهم من النّظم

---

[1] **الخصائص**، ابن جني، ج2/ص383.

[2] **الأصول في النّحو**، ابن السراج، ج1/ص211.

[3] **شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ**، ابن مالك، تح: عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1978، ج1/ص73.

[4] **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، ص240.

[5] **الأصول في النّحو**، ابن السراج، ج2/ص228.

[6] **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، ص421.

[7] ينظر: **الأصول في النّحو**، ابن السراج، ج2/ص230 و231.

سواء أُقُدِّم فيه أم أُخّر ونحو ذلك في المبتدأ والخبر، فإذا عُرف الخبر من المبتدأ جاز فيهما التّقديم والتّأخير، ومن المواضع أيضا هناك موضع المنع، وهو الذي منعه النحاة لأنه لا أصل له عند العرب ولم يُستعمل في كلامهم، ومن ذلك كما ذكرنا تقديم الموصول على الصّلة، وفي مسألة الفعل والفاعل، وإن كانت هذه المسألة موضع خلاف بين النحاة بين الجواز والمنع، وعلى هذا فإن التقديم والتأخير في الجملة يَنتُج عنه ترتبات في دلالة المعنى، وهذا ما ذهب به البلاغيون في دلالات التقديم والتأخير وبلاغتها كالتخصيص والعناية وغير ذلك وهذا سنتطرق له تاليا في بلاغة التقديم والتأخير والأثر الذي تتركه.

3. أسباب التّقديم والتّأخير وأثرهما البلاغي:

لا شكّ أنّ ترتيب الكلام اللفظي الذي يتمّ بوعي وإدراك إنّما هو نتاج التّرتيب الذهني، فإذا خرج الكلام من الأديب كان لترتيبه أثر ظاهر في الحكم على العمل الأدبي، فكيف هو الواقع إذا قلنا أنّ العمل الأدبي هو القرآن الكريم وأنّ المُخاطِب فيه هو الله سبحانه وتعالى، فهنا تكمُل كل أسرار البلاغة والإعجاز، وذكرنا سابقا أن علم النحو هو الدارس لحالات تقديم وتأخير اللفظ في الجملة بين الوجوب والجواز والمنع، وأنّ علم المعاني الذي هو فرع من فروع البلاغة هو الذي يدرس دلالة تلك الحالات، فإذا تقدّم اللفظ من رتبته الأصلية إلى رتبة متقدمة لا تخصه كان لذلك أثر في المعنى أراده الناظم بذلك التقديم ما ليُبَلّغه لو أنه لم يقم بذلك التقديم، ومن أغراض التقديم والتّأخير نذكر على قسمين، تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير:

❖ **التقديم على نية التأخير:** وهو على ثلاثة أوجه:

١. تقديم المسند إليه:

يُقدّمُ المسند إليه لاعتبارات وأغراض من أهمها:

أ. التشويق:

وذلك بأن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند، وذلك لأنّ المسند والمسند إليه متلازمان وأحدهما يخبر عن الآخر، ومن أمثلة هذا الغرض نذكر ما جاء به أبي العلاء المعرّي(٤٤٩هـ) [من الخفيف]:

والذِي حَارَتِ البَرِيّة فِيه حَيوَانٌ مُستَحدَثٌ مِن جَمَادِ[1]

فالمسند إليه هو الاسم الموصول (الذي)، والجملة التي بعده: (حارت البرية فيه)، صلة به؛ والصلة والموصول متلازمان، كأنهما شيء واحد، والمُخَاطَب هنا تتشوّق نفسه، ويتشوّق فؤاده لمعرفة الخبر (المسند) ذلك لأنّ في المسند إليه غرابة، بمعنى ما الذي حارت فيه البريّة؟ فيجيء الخبر متأخّراً: (حيوان مستحدث من جماد)[2].

والذي يعنيه أبو العلاء هو البعث الجسماني؛ يوم يخرج النّاس من أجداثهم، فالنّاس قد تحيّروا في البعث الذي هو إعادة النّاس بعد أن كانوا ترابا، فشوّق في النفس معرفة ما الذي حارت البرية فيه، ويقاس على المثال ما يشبهه، وهذا نحو قولنا: الدّاء العضال الذي أعيا كلّ طبيب، فهذا كلام فيه غرابة، والنّفوس ينتابها الفضول لمعرفة ما هو؟ فإذا قلت التّفرق، فأنت قدّمت المسند إليه لتشوّق السامع إلى ما بعده، والأصل في القول: التفرق؛ الدّاء العضال الذي أعيا كل طبيب.

---

[1] **اللزوميات**، أبو العلاء المعرّي، تح: أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982، ج1/ص369.

[2] **البلاغة –فنونها وأفنانها**، حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1997، ص212 و213.

وفي هذا الغرض يُقدّم المسند إليه إذا كان فيه غرابة تجعل المخاطب تستشرف نفسه لمعرفة المسند الذي لا تتم الفائدة إلا به.

ب. إفادة التّخصيص:

وذلك إذا كان المسند إليه منفيا، وكان المسند فعلا، فإنّ تقديم المسند إليه يفيد التّخصيص قطعا، ومعنى هذا أنّ المسند إليه قد يُقدّم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي يشترط أن يكون مسبوقا بحرف نفي نحو قولك (ما أنا قلت هذا) فهذا التقديم يفيد أن القول ثابت ولابد أن أحدا قال هذا القول وأنت تنفيه عن نفسك وتثبته لغيرك، فلا يأتي هذا التقديم إلا في شيء ثبت أنه قيل، وأنت تريد نفيه كونك قائلا له ومن هذا قول المتنبي [من المتقارب]:

ومَا أنا أَسْقَمْتُ جِسمِي بِه ولاَ أنَا أَضْرَمتُ فِي القَلْبِ نَاراً[1]

فالسقم موجود والضرم ثابت، ولكن الشاعر ينفي أن يكون هو الجالب لهما، والشاعر لا يقصد نفي الفعل، فالفعل ثابت ولكنه يقصد نفي أن يكون هو الفاعل، ولهذا لا يصح أن يقول: (ما أنا قلت هذا ولا غيري)، لمناقضة اللفظ الثاني لمفهوم الأول لأن القول ثابت وقد نفاه عن نفسه وخصّ به غيره، فعندما يقول: (ولا غيري)، فقد نفاه عن غيره، مع أنه قد أثبته له في الجملة السابقة[2].

ج. إفادة التّعميم:

والغرض الثالث من أغراض تقديم المسند إليه هي إفادة التّعميم، ويكون ذلك إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على العموم وأداة تدلّ على النّفي، وأدوات العموم كـ: (كلّ، وجميع، وعامة، وكافّة)، وما شابهها، وأدوات النفي كـ: (لا، ولم) وما شابههما.

فإذا أردت التّعميم؛ قدّمت المسند إليه، نحو قولنا: كلّ النّاجحين لم يأخذوا جوائزهم، وجميع الطلاب لم يجتهدوا، والمضمون هنا أنّ الحكم اشتمل على جميع الأفراد دون استثناء، وهذا يسمّى عموم السلب، ولو قدّمنا المسند نحو قولنا: لم يأخذ كل النّاجحين جوائزهم، فهنا سُلب الحكم عن بعض الأفراد بمعنى أنّ هنالك طرفٌ أخذ جوائزه وطرفٌ آخر لم يأخذها، ونحو هذا شعرا [من البسيط]:

مَا كلُّ مَا يَتَمَنّى المَرْءُ يُدرِكُهُ تَجرِي الرِّياحُ بِمَا لاَ تَشتَهِي السُفُنُ[3]

وفائدة هذا المثال تكمن في أن عموم ما يتمنى المرء ليس هو بمدركه، وإنما يراعى في ذلك حكم الله، فقُدم لفظ الاشتمال والعموم للدلالة على أن الأمر مسلّم به بأجمعه.

---

[1] **ديوان المتنبي**، أبو الطيب المتنبي، ج2/ص197.

[2] ينظر: **البلاغة –فنونها وأفنانها**، حسن عباس، ص215.

[3] **ديوان المتنبي**، أبو الطيب المتنبي، ج4/ص366.

٢. تقديم المسند:

يُقدّم المسند وفق أغراض ومقتضيات نذكر من بينها[1]:

أ. تخصيصه بالمسند إليه:

ونحو هذا قولنا: على الله توكّلي، ولله الحكمُ، فما نلاحظه في الأمثلة أنّ تقديم المسند قُصد منه التخصيص، فإذا قلت: لله الأمر، فمعنى هذا أنّ الأمر خُصّ لله وحده دون غيره.

ويمكننا أن ندرك في هذا الشأن أننا إذا أردنا التخصيص؛ فلا بد من أن يُقدّم المسند، فإذا قلت: في الحجرة المجاورة هدوءٌ، يقول السّكاكي في هذه المسألة: "وأمّا تقديمه –المسند– فلتخصيصه بالمسند إليه نحو قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[2]، أي بخلاف خمور الدّنيا، ولهذا لم يقدّم الظرف في :﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]، لِئَلاَّ يفيد ثبوت الرّيب في سائر كتب الله تعالى"[4].

ب. التّنبيه على أنّه خبر لا نعت:

من مقتضيات تقديم المسند التّنبيه على أنّه خبر، حتى لا يلتبس بالصّفة، وبيان هذا أنّ الخبر والصّفة متقاربان، وإنّما يُفرّق بينهما باعتبارات معنوية، فالذي يصلح أن يكون صفة يصلح أن يكون خبراً، فلو قلنا: مصلّى لنا في القدس، تحتمل كلمة (لنا) أن تكون خبرا أو صفة.

والخبر أقوى من الصفة في دلالته؛ لأنّ الخبر ركن في الجملة، وليس كذلك الصفة، فإذا جعلنا الشيء خبرا، فهو أدلّ على شأنه وخطره، أكثر من كونه صفة من الصّفات[5]، ويتقدّم الخبر على المبتدأ إذا كان الخبر أقوى في الدلالة، ونحو هذا شعراً [من الطويل]:

لَـهُ هِمَـمٌ لاَ مُنتَـهى لِكِبارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّـغرَى أَجَـلُّ مـنَ الـدَّهرِ

لَه رَاحَةٌ لَو أَنَّ مِعشَارَ جُودِهَا علَى البَرِّ كَانَ البَرُّ أندَى مِنَ البَحْرِ[6]

وفي هذا المثال تقدّم الخبر الشبه جملة المتمثلة في الجار والمجرور (له) على المبتدأ (همم، وراحة)، وهذه من حالات وجوب تقدم الخبر لأنّ المبتدأ اسم نكرة غير مخصوص، وهذا يفيد أن المقدّم خبر لا نعت.

ج. التّشويق:

وفي هذه الحالة يتقدّم المسند للتشويق بذكر المسند إليه، ونحو هذا [من البسيط]:

ثَلاَثَةٌ تُشرِقُ الدُّنيَا بِبَهجَتِهَا شَمسُ الضُّحَى وأَبُو إسحَاقَ والقَمَرُ[7]

---

[1] ينظر: **البلاغة –فنونها وأفنانها**، حسن عباس، ص229.

[2] **سورة الصّافات**، الآية: 47.

[3] **سورة البقرة**، الآية: 2.

[4] **التلخيص في علوم البلاغة**، القزويني، ص124.

[5] **البلاغة –فنونها وأفنانها**، حسن عباس، ص231.

[6] **الكامل**، لأبي العباس المبرد، تح: محمد أحمد دالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ج2/ص1032.

[7] **العمدة**، ابن رشيق، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، عمان، ط4، 1972، ج2/ص139.

فالتقديم في هذه الحالة أفاد التّشويق لمعرفة المتأخر، فالسامع متشوق لمعرفة من تشرق الدّنيا ببهجته، ليكمل بذلك المتكلم عدّ الثلاثة.

د. التّفاؤل:

أي سماع المخاطَبِ من أول الأمر ما يسرّه، كأن تقول لمن ينتظر إجابة منك: ناجح أنت، ونحو هذا من الشعر قول الثعالبي(٨٨٤هـ) [من الكامل]:

سَعِدَتْ بغُرَّةِ وجهِكَ الأيَّامُ وتزيَّنَتْ ببقائِكَ الأعوامُ

حيث قُدّم المسند (سعدت) والمسند (تزينت) على المسند إليه (الأيام) و(الأعوام) ويقصد بهذا إسماع المخاطَب منذ البدء ما يتفاءل به[1].

٣. تقديم متعلقات الفعل:

ذكر علماء البالغة طائفة من الدواعي البلاغية لتقديم ما هو من متعلقات الفعل عن رتبته، ويمكن أن تضاف إليها طائفة أخرى مما سبق عرضه في تقديم المسند إليه على المسند، ويقصد بمتعلقات الفعل: المفعول به، الجار والمجرور، الظرف، الحال، وغيرها، ومن الدواعي التقديم نذكر ما يلي:

أ. التّخصيص:

وهو قصر الحكم (الناتج عن إسناد المسند إلى المسند إليه) على المقدم من متعلقات الفعل على الفعل أو ما في معناه، مما يعمل عمله، وتساعد القرائن على اكتشاف إرادة التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، تقدّم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد، ونستعين)، وقد أفاد هذا التّقديم على تخصيص العبادة والاستعانة بالله وحده دون سواه.[3]

ب. التّقديم للاهتمام:

من التّقديم للاهتمام تقديم الجار والمجرور في الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4].

ويظهر وجه تقديم (من أقصى المدينة) على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل (أقصى المدينة)، وأنّه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأنّ الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترفق وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة[5].

---

[1] **الكافي في علوم البلاغة**، عيسى العاكوب وسعد الشتيوي، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1993، ج1/ص207.

[2] **سورة الفاتحة**، الآية: 5.

[3] ينظر: **البلاغة العربية– أسسها، علومها، وفنونها**، عبد الرحمن حنبكة، دار القلم، دمشق، ط1، 1996، ج1/ص382.

[4] **سورة يس**، الآية: 20.

[5] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984، ج22/ص366.

ج. مراعاة لنظم الكلام:

وذلك أن يتضمن التأخير إخلالا بالتناسب الإيقاعي، فيقدّم لرعاية الفاصلة، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[1]، حيث قُدّم في الآية الكريمة الجار والمجرور (في نفسه)، والمفعول له (خيفة) على الفاعل (موسى) لرعاية ما بعده من الفواصل المختومة بالألف المقصورة، لتكون الألفاظ على نسق واحد يخلب اللبَّ يأخذ بزمام السمع، وهذا ملمح إيقاعي تحرص عليه اللغة العالية[2].

د. مراعاة الدلالة المرادة:

وذلك بأن يتضمن تأخير المفعول إخلالا بالدلالة المرادة، فيقدّم لتحاشي ذلك الإخلال ولدفع ذلك التوهم غير المراد، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾[3]، حيث قُدّم في قوله تعالى: (مِنَ ءَال فرعون) على قوله: (يكتم إيمانه)، حتّى لا يُتهم أنّ (مِنَ ءَال فرعون) متعلّق بـ (يكتم)؛ ويترتب على ذلك إخلال بالمعنى المرادن وهو بيان أنّ الرجل من آل فرعون لإفادة ذلك مزيد العناية به والرعاية له من الله سبحانه وتعالى[4].

❖ **التقديم لا على نية التأخير:** جمع الزركشي أغراضه في كتابه البرهان في علوم القرآن وأحصى منها خمسا وعشرين[5]، مثّل لها من القرآن الكريم نذكر منها على سبيل الاستئناس بضعا منها تاركين الاستشهاد لسورة بحثنا سورة الإسراء:

١. **السبق:** وهو أقسام: منها السبق بالزمن والإيجاد كتقديم السِنة على النوم، لأنّ العادة في البشر أن تأخذ العبد السِّنة قبل النوم، وتقديم الليل على النّهار، ومنها تقديم المكان على الزّمان، ومنها السبق بالإنزال كتقديم التوراة على الإنجيل،

٢. **بالذات:** كتقديم الأعداد المرتبة فالأول ثم يليه الثاني والثالث، فهي متقدّمة على ما فوقها بالذات.

٣. **بالعلّة والسببية:** كتقديم (العزيز) على (الحكيم) لأنّ الله عزّ فحكم، وتقديم (العليم) على (الحكيم)، لأنّ الإتقان ناشئ عن العلم.

٤. **بالمرتبة:** كتقديم (سميع) على (عليم) في كتاب الله فإنه يقتضي التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلّقه بالأصوات، وإنّ منْ سَمِع حسّك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان علم الله تعلّق بما ظهر وما بطن.

٥. **بالداعية:** كتقديم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج، لأنّ البصر داعية إلى الفرج.

٦. **التعظيم:** كتقديم اسم الله عز وجلّ للتعظيم.

---

[1] **سورة طه**، الآية: 67.

[2] ينظر: **الكافي في علوم البلاغة**، عيسى العاكوب وسعد الشتيوي، ج1/ص217.

[3] **سورة غافر**، الآية: 28.

[4] **الكافي في علوم البلاغة**، عيسى العاكوب وسعد الشتيوي، ج1/ص217.

[5] ينظر: **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج3/ص239-275.

٧. **الشرف:** وهو أنواع، منها شرف الرسالة كتقديم الرسول على النبي، فإن الرسول أفضل من النبي، ومنها شرف الذكورة كتقديم الرجال على النّساء، ومنها شرف الحرية كتقديم الحرّ على العبد.

٨. **الغلبة والكثرة:** كتقديم الرحمة على العذاب، لأن رحمة الله غلبت غضبه من الحديث.

٩. **للحث عليه خيفة من التهاون به:** كتقديم الوصية على وفاء الدين.

١٠. **الاهتمام عند المخاطب:** كتقديم القريب على المسكين في الصدقات.

١١. **الترقّي:** كالترقّي من الأشرف إلى الأشرف منه ومن الأدنى إلى الأعلى.

هذا من بضع ما جاء به الزركشي في كتابه في أغراض التقديم لا على نية التأخير، وقد خَتمه بتنبيه قال فيه: "قد يكون في كلّ واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، إما أن يعتقد إرادة الكل، أو يرجح بعضها كونه أهم في ذلك المحل، وإن كانت الأخرى أهم في المحل الآخر، وإذا تعارضت الأسباب روعي أقواها، فإن تساوت كان المتكلّم بالخيار في تقديم أي الأمرين شاء"[1].

هذا وخلاصة لي ما جاء في أغراض التقديم والتأخير نجد أنّ سيبويه قد أجمله في قوله: "كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنَى، وإن كانا جميعا يُهِمّانِهم ويَعنِيانِهم"[2]، ومفهوم هذا أنّ الغاية الأولى والأسمى للتقديم والتأخير تشمل العناية والاهتمام، وأعقب سيبويه طائفة بعده من البلاغيين الذين وسّعوا في هذا باب كالسكاكي والقزويني والزّركشي وجعلوا للتقديم والتأخير أغراض وأسباب تقتضيه، بين ما قُدّم والنية به التأخير وما قُدّم لا على نية التأخير، وجعلوا له فروع وأقسام وذلك لأهميته وغايته السامية في فهم والتماس بلاغة الخطاب، كما أن توظيفه كان في القرآن الكريم أبلغ وأجمل وهذا ما سنلتمسه في سورة الإسراء.

[1] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج3/ص275.

[2] **الكتاب**، سيبويه، ج1/ص34.

الفصل الثاني:

بلاغة التقديم والتّأخير في سورة الإسراء.

أوّلا: خصائص سورة الإسراء وأفضالها.

1_ التّعريف بالسورة وأسباب نزولها.

2_ موضوعات السورة ومقاصدها.

3_ المناسبات في السورة وأفضالها.

ثانيا: التقديم والتّأخير في سورة الإسراء.

1_ التقديم والتأخير في الجمل الإسمية.

2_ التقديم والتأخير في الجمل الفعلية.

3_ التقديم والتأخير في أشباه الجمل.

أولا: خصائص سورة الإسراء وأفضالها:

1. التّعريف بالسورة وأسباب نزولها:

سورة الإسراء هي سورة مكية المنزل بالإجماع، وقد استثنى بعضهم بضع آيات منها[1]، وهي السورة الخمسون في تعداد نزول سور القرآن، حيث نزلت بعد سورة القصص وقبل سورة يونس، وعدد آياتها مائة وعشر آية في عدّ أهل العدد بالمدينة، ومكة، والشام، والبصرة، ومائة وإحدى عشرة في عدّ أهل الكوفة[2].

وتسمى بسورة الإسراء وذلك نسبة للمعجزة التي خصّها الله عزّ وجلّ بعبده محمد ﷺ في تلك الليلة المباركة، وتسمّى أيضا بسورة سبحان لأنّها افتتحت بهذه الكلمة[3] قال البقاعي في وجه هذه التّسمية: "سمّيت سورة سبحان الذي هو علم للتنزيه، لأنّ من كان على غاية النّزاهة عن كلّ نقص، كان جديرا بأن لا نعبد إلا إياه، وأن نُعرض عن كلّ ما سواه لكونه متصفا بما ذكر"[4]، وسُميّت في عهد الصّحابة بسورة بني إسرائيل[5]، وشاهد ذلك ما ذُكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها من السور، وأخرج ابن جرير في هذا الشأن عن ابن عباس أنّه قال: (إنّ التوراة كلّها في خمس عشرة آية من سورة **بني إسرائيل**)[6]، وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (كان النّبي ﷺ لا ينام حتّى يقرأ الزمر و**بني إسرائيل**)[7].

والسورة والأربع التي بعدها من قديم ما أنزل، أخرج البخاري عن ابن مسعود أنّه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: (مِنَ العِتاقِ الأُوَلِ، وهُنّ من تلاَدِي)[8]وهي السورة السابعة عشر في ترتيب المصحف الشريف، وفاتحة الجزء الخامس عشر تلت سورة النحل وذلك أنّه سبحانه وتعالى قال في آخر سورة النّحل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾[9]، فسّر في هذه شريعة أهل السبت وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شَرع لهم في التوراة، وهذا وجه في اتصالها بسورة النحل[10].

ومن أسباب نزول السورة نذكر منها أجزاءً وذلك لتعدد آياتها ولكل واحدة منها سبب لنزولها فنذكر:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء:29].

---

[1] ينظر: **التحرير والتنوير**، ج15/ص5.

[2] نفسه: ج15/ص7.

[3] ينظر: **روح المعاني**، الألوسي، تح: عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ج15/ص2.

[4] **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ج11/ص286.

[5] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص5.

[6] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ابن جرير، تح: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001، ج17/ص243.

[7] **الجامع الكبير**، الترمذي، باب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، رقم [3405]، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ج5/ص410.

[8] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التّفسير، باب سورة بني إسرائيل، رقم [4708]، تق: محمد شاكر، دار اليقين، (ط م)، 2011، المنصورة، مصر، ص572.

[9] **سورة النّحل**، الآية: 124.

[10] **أسرار ترتيب القرآن**، جلال الدين السيوطي، تح: عبد القادر عطا، دار الاعتصام، مصر، ط2، 1978، ص113.

قال الواحدي: أخبرنا أبو الحسن، محمد بن عبد الله بن علي بن عمران، قال: أخبرنا أبو علي ابن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيلي المحاملي، قال: حدّثنا زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا سليمان بن سفيان الجهني، قال: حدّثنا قيس بن الربيع، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: (جاء غلام إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنّ أمّي تسألك كذا وكذا، فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسرا، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا﴾ [الإسراء:29])[1].

- قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء: 59].

أخرج أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس، قال: (سأل أهل مكّة النّبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحّي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أهلكت من قبل، قال: لا، بل أستأني بهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية)[2].

- قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ [الإسراء:80].

قال الواحدي: قال الحسن: إنّ كفار قريش لمّا أرادوا أن يُوثِقُوا نبي الله محمّد ﷺ ويخرجوه من مكّة، أراد الله تعالى بقاء أهل مكّة، وأمر نبيه ﷺ أن يخرج مهاجرا إلى المدينة، ونزل قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾[3].

- قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: 85].

عن عبد الله رضي الله عنه قال: (بينما أنا مع النّبي ﷺ في حرثٍ –وهو متّكئ على عسيب– إذ مرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعض.. سلوه عن الروح، فقال: ما رأيكم –إليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه– فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النّبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلمّا نزل الوحي قال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾)[4].

ويمكننا خلاصة أسباب نزول السورة بصفة عامّة في أنّها نزلت أو نزل معظمها عقب معجزة الإسراء والمعراج[5]، وتحدثت السورة عن شخصية الرسول ﷺ حديثا مستفيضا، وحكت إيذاء المشركين له، وتطاولهم عليه، وتعنّتهم معه، كمطالبتهم إياه أن يفجّر لهم من الأرض ينبوعا، فجاء في السورة ما يردّ كيدهم، وبما يسلّي الرسول ﷺ ويثبت نبوته، ويرفع منزلته، ويعلي قدره في تلك الفترة التي أعقبت وفاة زوجه خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب[6].

---

[1] **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن الواحدي، تح: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1992، ج1/ص287.

[2] **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، رقم [2333]، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، ج4/ص173.

[3] **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن الواحدي، ج1/ص286.

[4] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التّفسير، باب (وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ)، رقم [4721]، ص574.

[5] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص6.

[6] **التفسير الوسيط**، الطنطاوي، دار النّهضة، القاهرة، ط1، 1998، ج8/ص274.

2. موضوعات السورة ومقاصدها:

عالجت سورة الإسراء العقيدة الإسلامية في شتى مظاهرها وتميزت بتنوع موضوعاتها، حيث تضمنت إشارة إلى حادثة الإسراء النبوي، ومجموعة من الوصايا والأوامر والنواهي، والحِكم الدينية والأخلاقية والاجتماعي، وفيها استطرادات إلى قصص بني إسرائيل التاريخية، وإلى قصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون في معرض التمثيل والموعظة، وفيها حكاية لمواقف الكفار وعقائدهم وأقوالهم، وإشارة إلى محاولة الكفار لزحزحة النبي ﷺ عن بعض ما يدعو إليه ومساومته، وإلى بعض أزماته، وحكاية لموقف بعض علماء الكِتابيين وإيمانهم بالقرآن، وإشادتهم بالقرآن في مواضع عديدة، وتنويه بما فيه من حق وهدى وروحانية وشفاء وإعجاز[1]، ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول ﷺ، وإثبات فضله وفضل ما أنزل عليه[2].

ومن أبرز ما جاء في السورة من موضوعات[3]:

_ تضمّنت السورة الكلام عن حدث عظيم ومعجزة باهرة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وهي معجزة الإسراء من مكة المكرّمة إلى المسجد الأقصى في ليلة مباركة، والتي هي دليل باهر على قدرة الله ﷻ، وتكريم وتشريف إلهي لنبيه محمد ﷺ.

_ أخبرت السورة عن قصة بني إسرائيل في حالي الصلاح والفساد، ببيان إعزازهم حال الاستقامة وإمدادهم بالأموال والبنين، وبيان تشردهم في الأرض مرتين بسبب عصيانهم وإفسادهم، وتخريب مسجدهم، ثم عودتهم إلى الإفساد باستفزازهم النبي ﷺ، وإرادتهم إخراجه من المدينة قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء:76].

_ بيّنت السورة بعض الأدلة الكونية على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:12].

_ وضعت السورة أصول الحياة الاجتماعية القائمة على التّحلي بالأخلاق الكريمة والآداب الرفيعة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ [الإسراء:23-39].

_ نددت السورة بنِسبَة المشركين البناتِ إلى الله عز وجلّ زاعمين أنّ الملائكة بنات، ثمّ أنكرت عليهم وجود آلهة مع الله، ثمّ فنّدت مزاعمهم بإنكار البعث والنشور، كما أنّها حذّرت النبي ﷺ من موافقته المشركين في بعض معتقداتهم.

---

[1] ينظر: **التفسير الحديث**، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج3/ص351.

[2] **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1997، ج4/ص2208.

[3] **التفسير المنير**، الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1998، ج15/ص6-8.

_ أشارت إلى جزء من قصّة موسى مع فرعون وبني إسرائيل ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ... وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ [الإسراء: 101-104].

_ بيّنت السورة الحكمة من نزول القرآن منجّما (مفرقا بحسب الوقائع والأحداث والمناسبات).

_ خُتمت السورة بتنزيه الله عن الشّريك والولد، والنّاصر والمعين، واتصاف الله بالأسماء الحسنى التي أرشدنا إلى الدعاء بها.

ومن مقاصد السورة وأغراضها، فقد تنوعت وذلك حسب تنوع موضوعات السورة، وقد حصرها الطاهر بن عاشور في تفسيره وذلك في مطلع حديثه عن السورة[1]:

_ جاءت هذه السورة لإثبات نبوة محمد ﷺ، وكذلك لإثبات أنّ القرآن وحي من الله عز وجل.

_ أثبتت فضل القرآن وفضل من أنزلت عليه وذكرت أنّه معجز.

_ أثبتت السورة دلائل تفرّد الله بالإلهية ردا على المشركين الذين اتّخذوا مع الله شريكا آخر وردت مطاعنهم.

_ وذكّرت بالنعم التي سخّرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرّده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر النعم وترك شكر غيره.

3. المناسبات في السورة وأفضالها:

١. المناسبة بين افتتاحية سورة الإسراء وخاتمة سورة النّحل:

_ ذكر الله تعالى في سورة النّحل اختلاف اليهود في السبت، وفي سورة الإسراء ذكر شريعة أهل السّبت التي شرعها لهم في التوراة[2]، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إنّ التوراة كلّها في خمس عشرة آية من سورة **بني إسرائيل**)[3].

_ كان ختام سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[4]، وتضمنت الآية الكريمة وصفا لمشاعر الضيق والحزن والألم التي ألمّت بالنبي ﷺ لِما لقيَه من صدٍّ للدعوة من أهله وقبيلته، مع إصرار على الكفر والضلال، فجاءت الآيات في سورة الإسراء مناسبةً في مواساة النبيّ ﷺ وذكرت المعجزة التي شرحت له صدره، وارتاحت لها نفسه، وكانت بمثابة العزاء الجميل له ممّا ألمّ به وأصابه من أهله[5].

---

[1] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص7.

[2] **تفسير المراغي**، أحمد المراغي، شركة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط1، 1946، ج15/ص3.

[3] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ابن جرير، ج17/ص243.

[4] **سورة النحل**، الآية: 127-128.

[5] **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ج8/ص407 و408.

٢. المناسبة بين فاتحة سورة الإسراء وخاتمتها:

افتتحت السورة بالتنزيه الكامل لله سبحانه وتعالى عن كل نقص: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1]، وختمت بالتحميد وهو صفة المدح والثناء[1] وذلك في قوله ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء:111]، قال سيد قطب: "وتُختم السورة كما بدأت بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد لا شريك، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولي والنّصير، وهو العلي الكبير، فيُلخصّ هذا الختام محور السورة التي دارت عليه، والذي بدأت ثمّ خُتمت به[2].

٣. المناسبة بين خاتمة سورة الإسراء وفاتحة سورة الكهف:

مناسبة وضع سورة الكهف بعد سورة الإسراء، هو أنّ سورة الإسراء افتتحت بالتسبيح، وسورة الكهف افتتحت بالتجميد وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، وقد ذكر في ختام سورة الإسراء التحميد في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: 111]، فكان ذلك وجها للمناسبة وذلك بتشابه الأطراف بينهما فقد افتتحت سورة الكهف بالتحمد في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:1][3].

٤. أفضال سورة الإسراء:

سورة الإسراء سورة من سور القرآن الكريم لها فضل كريم سواء تلاوة أو حفظا، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (مَن قَرَأَ حَرْفاً مِن كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ، وَلَكِن أَلفٌ حَرفٌ وَلَامٌ حَرفٌ وميمٌ حَرفٌ)[4]، وفي هذا ترغيب إلى العناية بالقرآن والمعاهدة عليه، فالمحروم من القرآن محروم من خير كثير، كما أنه دعوة من الله إلى المنافسة في حفظه وترتيله، لأن فيه من الحسنات ما يتضاعف، وهي على من شَقَّ عليه أضعاف أخرى، أجر التلاوة وأجر المشقّة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ القُرآنِ كَالبَيتِ الخَرِبِ)[5]، وفي هذا ترهيب على هجران القرآن والعزوف عنه، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ

---

[1] **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط4، 2005، ج4/ص211.

[2] **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج4/ص2208.

[3] ينظر: **أسرار ترتيب القرآن**، جلال الدين السيوطي، ص114.

[4] **الجامع الكبير**، الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من أجر، رقم [2910]، ج5/ص33.

[5] نفسه: أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من أجر، رقم [2913]، ج5/ص35.

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:82]، وأشد ما يصيب الإنسان من بلاءٍ بلاءُ القلب ومرضه وقسوته، فالبيت الخرب موحش لناظره، والقرآن شفاء ورحمة وطِيب للنفوس ونضارةٌ للقلب.

وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: (مِنَ العِتاقِ الأُوَلِ، وهُنّ من تلاَدِي)[1]، ومراد ابن مسعود أنّهنّ من أول ما أنزل وأول ما تعلّم من القرآن، وأنّ لهنّ فضلا؛ لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم[2].

ومما يدل على فضل السورة أيضا مداومة النبي ﷺ على قراءتها كل ليلة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النّبي ﷺ لا ينام حتّى يقرأ الزمر و**بني إسرائيل**)[3].

وفي ختام هذا المبحث المتمثل في التعريف بسورة الإسراء نجد أنّ للسورة أفضالا وخصائص كثيرة اختصّت بها عن غيرها من السور، وهي من أوائل ما أنزل من القرآن الكريم عالجت الكثير من القضايا الدينية والدنيوية، واهتمّت بترسيخ أصول العقيدة والدين، وإثبات التوحيد والرسالة والبعث، وإبراز شخصية الرسول ﷺ ونصره على من كذّبه وكفر به، وحكت السّورة أيضا قصصا عديدة كقصة بني إسرائيل وتماديهم في كفرهم وعصيانهم لله عزّ وجلّ، وحملت في مضمونها معجزات وآيات دالة على قوة وعظمة الله سبحانه وتعالى وإعجاز قرآنه وكرامة نبيه محمد ﷺ، وتميزت السورة أيضا بانسجام آياتها ومناسبتها لما قبلها وبعدها من السور.

[1] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التّفسير، باب سورة بني إسرائيل، رقم [4708]، ص572.

[2] **التفسير المنير**، الزحيلي، ج15/ص5.

[3] **الجامع الكبير**، الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، رقم [3405]، ج5/ص410.

ثانيا: التقديم والتّأخير في سورة الإسراء:

ذكرنا سابقا الجملة وعناصر تكوينها وما هو أصل فيها وما هو فرع، ثمّ عرجنا إلى التقديم والتأخير الذي يطرأ على الجملة فذكرنا مفهومه وما هي مواضعه وموانعه والبلاغة والغرض الذي يؤدّيه عند إعماله في الجملة العربية، ونحن بصدد دراسة ما مرّ بنا سابقا على سورة الإسراء، فإن كان التقديم والتأخير في النثر والشعر يعدّ من جمال الكلام وبديعه كما وصفه الجرجاني : "... فتجد سبب أنْ راقك ولطُف عندك، أنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان"[1]، فهو في كلام الله أجمل وأبلغ وتنقطع دونه معارج البراعة وتنحط عن بيانه شموس البراعة، وسورة الإسراء كما غيرها من السور كان لظاهرة التّقديم والتأخير في آياتها انتشار واسع وتعددت أغراضه وأسبابه، فنذكر ما وصلنا إليه على ثلاثة أقسام، فنبين في كل موضعٍ آية مدلولها اللغوي وإعرابها النحوي وغرضها البلاغي إن كان في الآية إشكال في فهم ألفاظها وإلاّ فنتجاوز ذلك إلى الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير في الآية، مع المراعاة في ذلك تفسير الآية ومناسبتها، وإن كان التقديم والتأخير كما وصفه الجرجاني على نية التأخير أو لا على نية التأخير.

1. التقديم والتأخير في الجمل الإسمية:

سنتطرق في هذا الجزء إلى الجمل الإسمية كالمبتدأ والخبر وجمل النواسخ وما شابهها وبعض المتعلّقات والأحوال والصفات والأسماء المعطوفة فيما بينها، وقد استثني من هذا بعض أشباه الجمل فقد خُصص لها قسم خاص بها وذلك لكثرة ورودها في السورة الكريمة.

- قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء:1]

لغة: (سبحان): علم جنس للتنزيه والتقديس، تنزّه الله تعالى من كلّ سوء ووصف بالبراءة من كلّ نقص على طريق المبالغة، وتكون سبحان بمعنى التّعجب[2]، **(أسرى)**: سرى بمعنى سار في الليل، وهما لازمان ومصدر الأول الإسراء، ومصدر الثاني السُري بضمّ السين[3]، **(بعبده)**: والعبد هو محمّد ﷺ وسماه عبدا في أرفع مقاماته وأجلّها وهو هذا، لئلا تغلط فيه أمّته وتضلّ كما ضلت أمّة المسيح به فدعته إلها[4]، **(ليلا)**: أي في جُنح الليل للدلالة على قصر الزمان الذي كان فيه الإسراء والرجوع[5].

إعرابا: (سبحانَ): فيها أربعة أقوال[6]، نذكر قول الخليل وسيبويه فيها: منصوب على المصدر مفعول مطلق لفعل مضمر متروك إظهاره وتقديره (سبّحت الله سبحان)[7]، وفي وجه النّصب بغير التنوين لأن في

---

[1] **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، ص106.

[2] **معالم التنزيل**، البغوي، تح: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1995، ج3/ص92.

[3] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1995، ج5/ص388.

[4] **تفسير الرازي**، أبو بكر الرازي، تح: رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1995، ص273.

[5] نفسه: ص273.

[6] ينظر: **أحكام القرآن**، ابن العربي، تح: محمد إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط1، 2002، ج3/ص161.

[7] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص388.

آخره زائدتين وهو معرفة، وحكى سيبويه أنّ من العرب من يُنكرَهُ فيصرفه[1]، **(الذي أسرى بعده ليلا)**: الذي مضاف إليه وجملة أسرى صلة، وبعبده جار ومجرور متعلقان بأسرى وليلا ظرف زمان متعلق بأسرى[2].

بلاغة: يظهر التقديم والتأخير في الآية الكريمة في الاسم الموصول **(الذي)**، وهو اسم يدل على المبهمات كغيره من الأسماء الموصولة، وتقدّم الأسماء الموصولة يفيد غرض التشويق لما بعدها، ونحو هذا قول ابن علاء المعري [من الخفيف]:

والذِي حَارَتِ البَرِيّة فِيه حَيوَانٌ مُستَحدَثٌ مِن جَمَادِ[3]

وجاء مطلع السورة الكريمة بتعبير إنشائي غير طلبي متصل بالاسم الموصول **(سبحان الذي)** وذلك للتعبير عن الذات العَلية دون الاسم العلم للتنبيه على ما تفيده صلة الموصول من الإيماء إلى وجه هذا التعجب[4]، فجاء الاسم الموصول **(الذي)**، للتشويق إلى الحدث العظيم الذي خصه الله بعبده محمّد ﷺ، وهو الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في تلك الليلة المباركة، وفي هذا التقديم أيضا غرض الاختصاص، كون أنّ الله عزّ وجلّ هو وحده القادر على الخبر العجيب الذي سيستقبله السامع والذي أفاده الافتتاح بكلمة التسبيح دون سبق كلام متضمن ما يجب تنزيه الله عنه[5]، فكانت بيانا لعظيم قدرته سبحانه وتعالى ورفيع منزلة نبيه المُتحدث عنه الذي اختصّه بالمعجزة.

- قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1].

بلاغة: التقديم في هذه الآية الكريمة في لفظ السميع على البصير، وتجاوزنا في هذه الآية مدلولها اللغوي لوضوح معناها، وإعرابها النحوي كون التّقديم هنا لا على نية التأخير، وتحتمل هاته الآية وجهين من التفسير في كون اللفظتين ترجعان إمّا لله عزّ وجلّ أو لنبيه محمّد ﷺ، وتقدير كونهما صفتين لله عزّ وجلّ أنه هو السميع لينبه على أنه المجيب لدعائه، والبصير لينبه على أنّه الحافظ له في ظلمة الليل[6]، والغرض منه التنقّل من الأقرب إلى الأبعد، فالسمع يكون أقرب من الإبصار قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:186]، وفي موضع آخر ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبإ:50]، أمّا تقدير كون الصفتين للنبي ﷺ هما على أصل اشتقاقهما للمبالغة في قوة سمعه وبصره وقبولهما لتلقي تلك المشاهدات المدهشة[7]، والغرض هنا أنّ السمع أدلّ عل القدرة من البصر، عن عائشة رضي الله عنها قالت تسأل النبي ﷺ: (...أتنام قبل أن تُوتِرَ؟ فقال: إنّ عيْنَيَّ تنَامَان ولا يَنَامُ قَلبِي)[8]، وعن أنس بن مالك في حديث الإسراء

---

[1] **إعراب القرآن**، النحاس، تح: خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2008، ص513.

[2] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص390.

[3] **اللزوميات**، أبو العلاء المعرّي، ج1/ص369.

[4] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص10.

[5] ينظر: نفسه: ج15/ص9.

[6] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص92.

[7] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص23.

[8] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التّهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، رقم [1147]، ص139.

المطوّل: (... وكَذلِكَ الأنبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُم ولاَ تَنَامُ قُلُوبُهُم)[1]، قال الزركشي في وجه تقديم السميع على البصير أنها بغرض التشريف، قال: "لأنّ السّمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة، وقُدّم القلب عليهما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:7]، لأنّ الحواس خدمة للقلب"[2]، وتختلف أغراض التقديم وذلك حسب مقتضى الحال وما يدلّ عليه السياق.

ولهذه الآية نظائر عديدة في سورة الإسراء، فقد تقدم الخبير على البصير في قوله تعالى:

_ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء:17].

_ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء:30].

_ ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء:96].

وجاءت هذه الآيات مقترنة بلفظة العباد، وهم خلق الله وهو أعلم بهم وبما في قلوبهم، فقدم خبيرا على بصيرا بغرض التشريف، وهو تشريف الغيب على المشاهدات، فقدم ما هو متعلّق بالضمائر والنّيّات والتي لا يعلمها إلاّ الله على المبصرات من أعمال وأفعال، لأنّ العقائد أصل الأعمال في الفساد والصلاح[3]، وفي الحديث: (...ألاَ وإنّ في الجَسَدِ مُضغَة إذا صَلحَت صَلَحَ الجسَدُ كلُّه، وإذا فَسدَت فَسدَ الجَسدُ كُلّهُ ألا وهي القلب)[4]، ودلالة الحديث أنّ صلاح القلب من صلاح كل الجسد.

- قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء:9].

لغة: يمدح الله تعالى في هذه الآية الكريمة كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أنّ لهم أجرا كبيرا يوم القيامة[5]، و **(أجراً كبيراً):** فُسّر بالجنّة[6].

إعراباً: (أنّ لهم أجرا كبيرا): أنّ وما في حيزها مصدر مؤول منصوب على نزع الخافض، ولهم خبر أنّ مقدّم وأجرا اسمها المؤخر وكبيراً صفة[7].

بلاغة: تقدم في الآية الكريم خبر أنّ على اسمها وهو تقديم على نية التأخير، وهو من الحالات التي يجب فيها تقديم الخبر على الاسم، حيث إذا جاء بعد إنّ أو أحد أخواتها ظرف أو جار ومجرور، فإنّ اسمها يكون مؤخراً، والخبر هو الشبه الجملة المقّدم، والتقدّم هنا أفاد غرض التّخصيص، أي أنّ من آمن بالله وعَمل بما جاء في كتابه واتّبع رسوله فقد بشرهم الله بأنّ لهم أجرا كبيرا مخصوصين به دون غيرهم.

---

[1] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) 163/4، رقم [7517]، ص894.

[2] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج3/ص254.

[3] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص57.

[4] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم [52]، ص16.

[5] **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، شركة الشهاب، الجزائر، ط1، 1990، ج2/ص366.

[6] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص41.

[7] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص399.

- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ﴾ [الإسراء:12].

بلاغة: يظهر التقديم في الآية الكريمة بين الليل والنهار وهو تقديم لا على نية التأخير، حيث قُدم الليل على النهار بغرض السبق بالإيجاد، قال الزركشي: "ومنه تقديم الليل على النهار...، لذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام؛ وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكّرة، وقاعدتهم تغليب المذكر إلاّ في التاريخ"[1].

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:18].

لغة: (يصلاها): أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه، **(مذموما):** أي في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه، إذا اختار الفاني على الباقي، **(مدحورا):** مبعدا مقصياً حقيرا ذليلا مهانا[2].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة لفظ مذموما على مدحورا وذلك لمراعاة غرض السبق؛ فالآية الكريمة في قوله تعالى ذمت من أراد الدنيا دون أن يلتمس للآخرة عملا صالحا موصلا لها باتباع هدي محمد ﷺ، والذم هو الوصف بالمعائب التي في الموصوف[3]، وبعد عتاب الذم تكون المذلة والتحقير والإبعاد، ولهذه الآية نظائر مشابهة لها في التركيب من السورة كقوله تعالى:

_ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:22].

_ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:29].

_ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:39].

والملاحظ في هذه الآيات أنها ابتدأت بنهي عن عمل، وختمت بأحوالٍ تدل على حال الإنسان الذي لم يمتثل لتلك النواهي، فقُدم في هذه الأحوال السّبق باللوم والذم في أول الأمر ثم يليه بعد ذلك الإبعاد والإذلال والحسرة جزاء لعدم اجتناب تِلكمُ النواهي.

- قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء:23].

لغة: (قضى): يعني وصّى، ولهذا قرن بعبادته بر الولدين فقال: **(وبالوالدين إحسانا):** أي وأمر بالوالدين إحسانا برّا بهما وعطفا عليهما[4].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة الأمر بإفراد الله بالعبادة بغرض التعظيم، لأنه حقّ الله وحق المعبود مقدّم على حقّ العابد فالوالد والولد كلٌّ مأمور بعبادة الله، إذا كان البرّ بالوالدين من أجل أنهما أصل الإيجاد ولعظيم نعمتهما على الأبناء فحقّ الله أولى، إذ هو خالق الجميع من العدم وما بأحد من نعمة إلاّ من الله،

[1] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج3/ص241.

[2] **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، ج2/ص371.

[3] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص60.

[4] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص110.

كذلك من أسرار التّقديم أنّ عبادة غير الله خلل في التّفكير، وعقوق الوالدين خلل في العمل، وقدّم المجرور (وبالوالدين) على متعلّقه (إحسانا) اهتماما بشأنهما[1].

- قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء:23].

لغة: (الأفّ): قال أبو عبيدة أصل التّف والأفّ الوسخ على الأصابع إذا فتلتها، **(النّهر)**: الزّجر، يقال: نهره وانتهره[2].

بلاغة: في هذه الآية الكريمة مقطع للتقديم والتأخير لا على نية التأخير وهو بغرض التدرج من الأدنى إلى الأعلى بصورة تصاعدية من الأقل إلى الأكثر، والمراد من هذا التّقديم أنّ الله عزّ وجل نهى الإنسان عن أذى والديه بداية من أقل الأذى وهو الأذى باللسان بأوجز كلمة، فيُفهم منه النّهي ممّا هو أشد أذى بطريقة فحوى الخطاب الأول[3].

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:31].

بلاغة: لهذه الآية الكريمة نظيرة لها في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:151]، والإملاق: هو الافتقار، وتقدّم في سور الأنعام ضمير الآباء على ضمير الأولاد، لأنّ الإملاق الدّافع للوأد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء فقدّم الإخبار بأنّ الله هو رازقهم وكمل بأنه رازق بناتهم.

وأمّا الإملاق المحكي عنه في سورة الإسراء فهو الإملاق المخشي وقوعه، والأكثر أنّه توقع إملاق البنات، فلذلك قُدم الإعلام بأنّ الله رازق الأبناء وكمُل بأنّه رازق آبائهم[4] وهذا تقديم بالعلّة والسببية، لأن رزق الأولاد سبب في إملاق الآباء، فقدم الله رزق الأولاد على الآباء وأنّ الله هو رازقهم جميعاً.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36].

لغة: (تقف): قال ابن عباس: لا تقل، وقال العوفي: لا ترم أحدا بما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم. **(كل أولئك)**: أي الصفات الوارد ذكرها من السمع والبصر والفؤاد، **(كان عنه مسئولا)**: أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه[5].

إعراباً: (لا) ناهية و**(تقفُ)** مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلّة –الواو–، وفاعله مستتر تقديره أنت، و**(ما)** مفعول به، وجملة ليس صلة، و**(لك)** خبر ليس مقدّم، و**(به)** متعلّقان بمحذوف حال ولا يجوز

---

[1] **دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم**، محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005، ص464.

[2] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص110.

[3] **التحرير والتنوير** ج15/ص70.

[4] نفسه: ج15/ص88.

[5] ينظر: **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، ج2/ص377.

تعلّقها بعلم لأنّ معمول المصدر لا يتقدّم عليه، و(**علم**) اسم ليس مؤخّر...، (**كان عنه مسئولا**) جملة كان خبر المبتدأ كلّ، وعنه متعلّقان بمسئولا، ومسئولا خبر كان[1].

بلاغة: في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه للتقديم والتأخير، بداية من تقديم خبر ليس وتأخر اسمها، وقد أفادت هنا غرض مراعاة الدلالة المرادة والحث على المتأخر كونه محطّ العناية والتنبيه وهو العلم الذي لا يملكه الإنسان يقينا، والمراد بـ (ما ليس لك به علم): الخاطر الذي لا دليل عليه ولا غلبة ظن به[2]، فيجب على الإنسان مراعاة ما يعلم وأن يجتنب ما لا يعلم، فقد شاع في الجاهلية الطعن في الأنساب، وكانوا يرمون النساء برجال ليسوا بأزواجهم، ويليطون بعض الأولاد بغي آبائهم بهتانا، وغير ذلك ممّا كان شائعاً في مجتمعات الجاهلية فنهى الله المسلمين عن ذلك[3].

أمّا الوجه الثاني من التقديم فهو تقديم السمع على البصر والفؤاد، وهو تقديم لا على نية التأخير، وقد سبقنا في هذا الوجه قول الزركشي في علّة هذا التّقديم فيقول: "لأنّ السّمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة، وقُدّم القلب عليهما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:7]، لأنّ الحواس خدمة للقلب"[4].

أمّا الوجه الثالث من التّقديم فهو تقديم الجار والمجرور (**عنه**) في قوله تعالى (**كان عنه مسئولا**)، وهو في موضع النائب عن الفاعل لاسم المفعول، وقُدّم عليه للاهتمام، ولمراعاة الفاصلة، والتقدير: كان مسئولا عنه، كما تقول: كان مسئولا زيد، ولا ضير في تقديم المجرور الذي هو في رتبة نائب الفاعل، وإن كان تقديم نائب الفاعل ممنوعا لتوسع العرب في الظروف والمجرورات، لأنّ تقديم نائب الفاعل الصريح يصير مبتدأ ولا يصلح أن يكون المجرور مبتدأً فاندفع مانع التّقديم[5].

- قال تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: 50].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة ذكره تعالى (حجارة) قبل ذكره (حديدا)، وهو لا على نية التأخير بغرض التّرقي من الصلب إلى الأصلب لإثبات القدرة على إعادة الإحياء والبعث، فبدأ بالحجارة ثم بما هو أصلب منها وهو الحديد، ثم تركهم وأفكارهم ، لتجول فيما هو أصلب من الحديد[6]، فدلّ ذلك على أن الله لا يعجزه شيء وهو القادر على إحياء الموتى بعد ما استبعد الكفار وأحالوا إرجاع الحياة إلى أجسام تفرّقت أجزاؤها

---

[1] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص435.

[2] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص100.

[3] نفسه: ج15/ص100.

[4] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج3/ص254.

[5] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص102.

[6] **دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم**، محمود المسيري، ص464.

وانخرم هيكلها، ولم يعلّلوا بأنها صارت أجساما ضعيفة، فيرد عليهم بأنّها لو كانت من أقوى الأجسام لأُعيدت لها الحياة[1].

- قال تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: 110].

إعرابا: في قوله **(فله)** الفاء رابطة للجواب، وله خبر مقدّم و**(الأسماء)**مبتدأ مؤخّر و**(الحسنى)** صفة[2].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريم المبتدأ **(له)** على الخبر **(الأسماء)**، وهو تقديم على نية التأخير أفاد هنا التخصيص والحصر، وهو تخصيص الأسماء الحسنى بالله عز وجل وحصرها به وحده دون غيره، كما أنه أفاد أيضا التّنبيه على أنّ المقدّم خبر لا نعت، نحو هذا من الشعر [من الطويل]:

لَـهُ هِمَـــمٌ لاَ مُنتَـــهى لِكِبارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّـغرَى أَجَـلُّ مـنَ الـدَّهرِ

لَه رَاحَةٌ لَو أَنَّ مِعشَارَ جُودِهَا علَى البَرّ كَانَ البَرُّ أندَى مِنَ البَحْرِ[3]

وفي غرض التخصيص والحصر من تقديم الخبر على المبتدأ من الآية، جاءت ردّاً وتعليماً بأنّ تعدد الأسماء لا يقتضي تعدد المسمى، وشتان بين ذلك وبين دعاء المشركين آلهة مختلفة الأسماء والمسمّيات[4]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ لِلّهِ تِسعَةً وَتِسعِينَ اسماً مِائةً إِلاَّ واحِداً، مَن أَحصَاهَا دَخَلَ الجَنّةَ)[5]، وأحصاها بمعنى حفظها، وكلها أسماء لله عز وجل خاصة به، يدعو بها الإنسان ففي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]، دعوة إلى توحيد الله بأسمائه الحسنى والدعاء بها.

---

[1] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص125.

[2] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص516.

[3] **الكامل**، لأبي العباس المبرد، ج2/ص1032.

[4] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص236.

[5] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التّوحيد، باب إنّ لله مائة اسم إلاّ واحدا، رقم [7392]، ص879.

2. التقديم والتأخير في الجمل الفعلية:

سنتطرق في هذا الجزء إلى الجمل الفعلية وما يندرج تحتها من صيغ كالأمر والنهي والمستقبل والماضي وغير ذلك، وكان للجمل الفعلية حضور بارز في سورة الإسراء كونها سورة ذات طابع توجيهي نصت على قيام دستور خاص بالمجتمع الإسلامي كالحثّ على توحيد الله والبر بالوالدين وتحصين النفس والتواضع وغير ذلك من أخلاق الإسلام التي يجب أن تتوفّر في المرء.

- قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الإسراء:2].

لغة: (وءاتينا): من آتى، وآتى فلانا الشيء: أتى به إليه، وأعطاه له[1]، **(موسى)**: عبد الله ورسوله وكليمه أرسله الله إلى بين إسرائيل[2]، **(الكتاب)**: التوراة.

إعرابا: (وءاتينا موسى الكتاب): الواو استئنافية أو عاطفة على جملة (سبحان الذي أسرى)، وءاتينا: فعل وفاعل، وموسى: مفعول به أول، والكتاب: مفعول به ثان[3].

بلاغة: تقدم في الآية الكريمة لفظ موسى على الكتاب لغرض المناسبة، وهذا التقديم كما أخبر به الجرجاني تقديم لا على نية التأخير، فكلا اللفظتين يحتمل أن يكونا مفعولا به كالقول (وءاتينا الكتاب موسى)، وجاءت جملة (وءاتينا موسى الكتاب) عطفا على جملة (سبحان الذي أسرى)، وغرض المناسبة هنا أنّ من آيات الله التي أوتيها النبي ﷺ آية القرآن، فكان ذلك في قوّة أن يقال: (وآتيناه القرآن وآتينا موسى الكتاب)[4]، فتقدّم ذكر لفظ موسى على الكتاب لمناسبة الآية التي قبلها التي بدأت بذكر عبد الله محمّد ﷺ أولا، ولهذه الآية نظير لها في قوله تعالى من السورة أيضا: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [الإسراء:55]، والمناسبة هنا من ذكر إيتاء داوود الزبور هو محل التعريض للمشركين بأنّ المسلمين سيرثون أرضهم وينتصرون عليهم لأنّ ذلك مكتوب في الزبور، ولم يؤت أحد من أنبياء بني إسرائيل كتابا بعد موسى عليه السلام[5].

- قال تعالى: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء:4].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة ذكر فعل الفساد قبل فعل العلو، وهو تقديمٌ بالعلّة والسببية فالعلو والطغيان حاصل الفساد، وأخبر الله عز وجل في الكتاب الذي أُنزل على بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ونتيجة لفسادهم طغوا وفَجَروا على الناس وتجبّروا عليهم، فأعقبهم الله بجند من خلقه أولي بأس شديد تملّكوا بلادهم[6].

---

[1] **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية-مصر-، ص5.

[2] **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، ج2/ص364.

[3] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص390.

[4] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص24.

[5] نفسه: ج15/ص137.

[6] ينظر: **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، ج2/ص365.

- قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسراء:12-13].

لغة: التفصيل هو التبيين والتمييز، و **(ألزمناه طائره في عنقه)** قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان، وقال الكلبي ومقاتل: خير وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به[1].

إعرابا: (وكلّ شيء) نصب على اشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعيلة، و**(فصّلناه)** فعل وفاعل ومفعول به و**(تفصيلا)** مفعول مطلق، و**(كلّ إنسان)** نصب على اشتغال أيضا و**(ألزمناه)** فعل وفاعل ومفعول به **(طائره في عنقه)** مفعول به ثان، وفي عنقه حال أي كائنا[2].

بلاغة: الاشتغال عرّفه النحاة بأنه اسم تقدّم على عامل من حقّه أن ينصبه لولا اشتغاله عنه بالعمل في ضميره نحو: خالدا أكرمته[3]، وتقدم في الآية الكريمة **(كلّ شيء)** و**(كلّ إنسان)** وهما معطوفان عطف خاص على عام للاهتمام بهذا الخاص، والمعنى: وكلّ إنسان قدّرنا له عمله في علمنا فهو عامل به لا محالة وهذا من أحوال الدنيا وأفاد هذا التقديم في الآية الكريمة الغلبة والاشتمال، فكل مكتوب في كتاب وهذا ما ختمت به الآية في قوله تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:13]، وفي هذا عطف على ما سبق إخبارٌ عن كون تلك الأعمال المعبر عنها تظهر يوم القيامة مفصّلة معينة لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصيت للجزاء عليها[4]، ولهذه الآية نظير لها أيضا في السورة في قوله تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ [الإسراء:20].

وتقدّم في هذه الآية أيضا المفعول به **(كلاًّ)** وهو مقدم على الفعل **(نمدُّ)** والتنوين عوض عن الإضافة، أي كلَّ واحد، وأفاد التقديم هنا الغلبة واشتمال عطاء الله على كل من المؤمنين والكافرين[5].

- قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾ [الإسراء:17].

إعراباً: (كم) خبرية في محل نصب مفعول به، **(أهلكنا من القرون)** في محل نصب تمييز لـ**(كم)**، **(من بعد نوح)** متعلّقان بمحذوف حال أو بأهلكنا فمن الابتداء[6].

بلاغة: تقدّمت في الآية الكريمة كم الخبرية وهي في محل نصب مفعول به مقدم للفعل الواقع بعدها، و(كم) في الأصل هي استفهام عن عدد، وتستعمل خبرية دالة على عدد كثير مبهم النوع، والتزم تقديمها على الفعل في الآية نظرا لكون أصلها استفهام وله صدر الكلام[7]، وأفاد التقديم هنا الكثرة دون الدلالة على

---

[1] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص108.

[2] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص400.

[3] نفسه: ج5/ص403.

[4] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص46 و48.

[5] **معاني القرآن وإعرابه**، الزجّاج، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988، ج3/ص233.

[6] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص406.

[7] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص56.

مقدار محدد، أي أهلكنا عددا كبيرا من القرون، بأنواع العذاب، نحو قوم لوط وعاد وثمود ومن ذكر اسمه وقرونا بين ذلك كثيرا[1].

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء:19].

لغة: (ومن أراد الآخرة) الجنّة وما فيها من النعيم والسرور، (وسعى لها سعيها) أي طلب ذلك في طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ، (وهو مؤمن) أي قلبه مؤمن، أي مصدق بالثواب والجزاء[2].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة فعل الإرادة على فعل السعي وهو تقديم لا على نية التأخير، والإرادة هنا بمعنى المشيئة، والسّعي هو المشي دون العدو، وسعي الآخرة هو القيام بالأعمال الصالحة لأنها سبب الحصول على نعيم الآخرة، وأفاد التّقديم هنا مراعاة السبق فالتمني والغاية تكون أولا ثم يليها الأعمال الموصلة لِتلكُم الغاية، وفي الآية إرادة خير الآخرة من غير سعي غرور وأن إرادة كلّ شيء لابد لنجاحها من السعي في أسباب حصوله[3]، قال أبو العتاهية [من الطويل]:

تَرجو النَجاةَ وَلَم تَسلُك مَسالِكَها إِنَّ السَفينَةَ لا تَجري عَلى اليَبَسِ[4]

وقال أبو أسود الدؤلي في شأن السعي خلف المُراد [من الوافر]:

وَما طَلَبُ المَعيشَةِ بِالتَمَنّي وَلَكِن أَلقِ دَلوَكَ في الدِّلاءِ[5]

- قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء:33].

لغة: (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي سلطة على القاتل، فإنه بالخيار فيه، إن شاء قتله قودا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء عفا عنه مجانا، (فلا يسرف في القتل) أي فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غيره[6].

إعرابا: (فقد جعلنا لوليه سلطانا) الفاء رابطة، وقد حرف تحقيق، وجعلنا فعل وفاعل، ولوليه مفعول جعلنا الثاني، وسلطانا مفعول جعلنا الأول أي حجة يثب بها عليه[7].

بلاغة: في الآية الكريمة وجهين من التقديم والتأخير، أوّلهما في قوله تعالى (فقد جعلنا لوليه سلطانا)، هو في المعنى مقدمة للخبر أفاد التعجيل بالمسرّة بما يُطمئن نفس ولي المقتول، والمقصود من الخبر التفريع بقوله تعالى: (فلا يسرف في القتل)، فكان تقديم قوله تعالى (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تمهيدا لقبول النهي عن السرف في القتل، لأنه إذا كان قد جُعل له سلطان فقد صار الحكم بيده وكفاه ذلك شفاء غليله[8]، أمّا

---

[1] **معاني القرآن وإعرابه**، الزجّاج، ج3/ص233.

[2] **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، ج2/ص372.

[3] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص60.

[4] **ديوان أبي العتاهية**، أبو العتاهية، ص230.

[5] **ديوان أبي أسود الدؤلي**، أبي سعيد السكري، تح: محمد آل ياسين، دار الهلال، بيروت، ط2، 1998، ص160.

[6] **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، ج2/ص376.

[7] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص434.

[8] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص95.

الوجه الثاني من التقديم فهو تقديم مفعول (جعلنا) الثاني (لوليه) على الأول (سلطانا)، وكان الأصل فيه التأخر أي (فقد جعلنا سلطانا لوليه)، وقُدّم للعناية والاهتمام، كون ولي المقتول بيده الخيار في القاتل إمّا قتله قُودا أو العفو عنه.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:37].

لغة: (ولا تمش في الأرض مرحاً) أي بطرا وكبرا وخيلاء، وهو تفسير المشي، (إنك لن تخرق الأرض) أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، (ولن تبلغ الجبال طولا) أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها[1].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة فعل خرق الأرض على مطاولة الجبال وهو لا على نية التأخير، بغرض الترقي من الأدنى إلى الأعلى أفاد التهكم على صاحب المشية المتكبرة، أي أنه لن يخرق الأرض في أدنى الكِبر، ولن يطاول الجبال أو يساويها في أقصى الكِبر في مشيته، والمقصود بالتهكم التشنيع بهذا الفعل، فدلّ ذلك على أن المنهي عنه حرام لأنه فساد في خُلُق صاحبه وسوء في نيته وإهانة للناس بإظهار الشفوف عليهم وإرهابهم بقوته[2].

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:45].

لغة: (حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به، قال قتادة: وهو الأكنة[3].

إعرابا: (جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالآخرة حجابا مستورا) جعلنا فعل وفاعل، بينك الظرف متعلّق بمحذوف مفعول به ثان، وبين الذين لا يؤمنون عطف على الظرف الأول، وجملة لا يؤمنون صلة، وبالآخرة متعلقان بيؤمنون، وحجابا مفعول جعلنا الأول، ومستورا نعت[4].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة مفعول جعلنا الثاني (بينك) على المفعول الأول (حجابا) والأصل فيها (جعلنا حجابا مستورا بينك)، وقُدّم للعناية والاهتمام ومراعاة للفاصلة، وفي الرعاية بالفاصلة كانت رؤوس الآيات على نسق واحد من قوله تعالى: ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ و ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ و ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ و ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، وصولا إلى موضع الآية في قوله تعالى ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، فأُخّر المفعول الأول ونعته لمناسبة رؤوس الآي مع بعضها، فأضفت على الآيات جمالا وإبداعا يشدّ القارئ والسامع.

- قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:57].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة رجاء الرحمة قبل خوف العذاب للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إلاّ إجلالا له وخوفا من غضبه، وهو تعريض بالمشركين الذين ركبوا رؤوسهم وتوغّلوا في الغرور فزعموا أنّ شركاءهم شفعاؤهم عند الله[5]، وتقديم الرحمة هنا بغرض السبق عن

---

[1] **معالم التنزيل**، البغوي ج3/ص108.

[2] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص104.

[3] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص117.

[4] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص450.

[5] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص140.

أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبلَ أَن يَخلُقَ الخَلقَ، إِنَّ رَحمَتِي سَبَقَت غَضَبِي، فَهُو مَكتُوبٌ عِندَهُ فَوقَ العَرشِ)[1]، وقد تقدم للآية نظير لها في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ [الإسراء:54].

- قال تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:81].

لغة: (الحق) يعني القرآن، (الباطل) أي الشيطان، قال قتادة: وقال السدي: الحق الإسلام والباطل الشرك، وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام، و(زَهَق) اضمحل بعد وجوده[2].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة ذكر مجيء الحق قبل زهوق الباطل بغرض الحث عليه والحض على القيام به، وفي الآية جاءت بمعنى: استقر وشاع الحقّ الذي يدعو إليه محمّد ﷺ وانقضى الباطل الذي كان ينهى عنه، وفي جملة (إنّ الباطل كان زهوقا) تذييل للجملة التي قبلها لما فيها من عموم يشمل كل باطل في كل زمان[3]، فإذا كان شأن الباطل الزهوق والاضمحلال، كان شأن الحق الثبات الانتصار فهو مقدّم في كل الأزمان، وفي قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال:8] دليل لثبات ذلك.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:110].

لغة: (الصلاة) تحتمل الدّعاء، وتحتمل العبادة المعروفة، (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تُسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك.

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة النهي عن الجهر بالصلاة قبل الخفت بها، وهو تقديم لا على نية التأخير وأفاد التقديم هنا درء المفاسد قبل جلب المصالح، والمفسدة في الآية هنا هي سب المشركين القرآن ومن جاء به، ولعل سفهاء المشركين توهّموا من صدع النبي ﷺ بالقراءة أو بالدّعاء، أنّه يريد بذلك التحكك بهم والتطاول عليهم بذكر الله تعالى مجردا عن ذكر آلهتهم فاغتاظوا وسبّوا، فأمر الله تعالى بأن لا يجهر بصلاته هذا الجهر تجنّبا لإثارة حفائظهم وزيادة لتصلبهم بينما المقصود تليين قلوبهم[4]، أما المصلحة هنا فهي إسماع الصحابة للقرآن حتى يأخذوا عنه، وبلوغ الصلاة أو الدعاء أسماع المتهيئين للاهتداء به، فكان رد المفاسد مقدّما في الآية الكريمة على جلب المصالح، ولذلك أعقبت الآية بالموازنة بين الجهر والمخافة ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾.

---

[1] **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التّوحيد، باب قول الله تعالى (وَالطُّورِ وكِتَٰبٍ مَسطُورٍ)، رقم [7554]، ص900.

[2] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص132.

[3] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص188.

[4] نفسه: ج15/ص238.

3. التقديم والتأخير في أشباه الجمل:

سنتطرق في هذا الجزء إلى أشباه الجمل كالجار والمجرور وشبه الجمل الظرفية، وقد كان لهذا الجزء بروز واسع في السورة وتعددت مواضعه وأغراضه، وقد تقدّم الذكر أن غالبا ما يكون تقديم أشباه الجمل لغرض التخصيص والاهتمام، إلا أنّ الزركشي احتمل توفر أكثر من علّة للتقديم في قوله: "قد يكون في كلّ واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، إما أن يعتقد إرادة الكل، أو يرجح بعضها كونه أهم في ذلك المحل، وإن كانت الأخرى أهم في المحل الآخر، وإذا تعارضت الأسباب روعي أقواها، فإن تساوت كان المتكلّم بالخيار في تقديم أي الأمرين شاء"[1]، وعلى هذا نذكر لا على سبيل الحصر بعض المواضع:

- قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: 1].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة ذكر (من المسجد الحرام) قبل ذكر (إلى المسجد الأقصا) لمناسبة المتقدّم لسياق الكلام وهو بداية ومنتهى الغاية، وأفادت هنا التنصيص على قطع المسافة العظيمة في جزء ليلة وهذا ما أفادته قرينة (الأقصا)، كما أنها إيماء إلى أنّ الله سيجعل هذا الإسراء رمزا إلى أن الإسلام جمع ما جاءت به شرائع التوحيد والحنيفية من عهد إبراهيم عليه السلام، فقد صدرت هذه الشرائع من المسجد الحرام وتفرّعت في المسجد الأقصى ثم عادت إلى المسجد الحرام، كما عاد الإسراء إلى مكة لأن كل سُرى يعقبه تأويب، وبذلك حصل رد العجز إلى الصدر[2]، كما أنّ المسجد الحرام قُدّم هنا أيضا بغرض زيادة التشريف وذلك لما يحمله من مكانة في قلوب المسلمين وبه أول بيت وضع للناس على وجه الأرض لعبادة الله، وهو قبلتهم وإليه يحجون، ولو قَدّم الله سبحانه وتعالى المسجد الأقصى على المسجد الحرام لحاز زيادة في الاهتمام وإن كانا جميعا حازا الاهتمام، وذلك بتقديم منتهى الغاية نحو قول الفرزدق يمدح الحجّاج وقد سار من الشام إلى واسط في سبعة أيام [من الطويل]:

لَو أَنَّ طَيراً كُلِّفَت مِثلَ سَيرِهِ إِلى واسِطٍ مِن إيلِياءَ لَكَلَّتِ[3]

وواسط قرية مشهورة ببلخ وهي أيضا قرية بحلب، وإيلياء اسم مدينة بيت المقدس، فقدّم الفرزدق ما هو أهم له وهو ببيانه أعنى (واسط)، والأصل في البيت تقديم بداية الغاية (من إيلياء إلى واسط) كما أن إيلياء أشرف من واسط ومن ذلك قوله [من الطويل]:

وَبَيتانِ بَيتُ اللهِ نَحنُ وَلّاتُهُ وَبَيتٌ بِأَعلى إيلِياءَ مُشَرَّفُ[4]

- قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء:23].

بلاغة: تقدم في الآية الكريمة (بالوالدين) على متعلّقه (إحسانا)، والتّقدير: وأحسنوا إحسانا بالوالدين، كما يقتضيه العطف على (ألاّ تعبدوا إلا إياه) أي وقضى إحسانا بالوالدين، وأفاد التقديم هنا الاهتمام بالمتقدّم

---

[1] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج3/ص275.

[2] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص15.

[3] **ديوان الفرزدق**، الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص108.

[4] نفسه: ص392.

فجعل الله الوالدين الأصل الثاني من أصول الشريعة وهو البر بهما، كما أنّ التقديم أفاد التشريف لاتصالهما بالضمير العائد إلى الله عز وجل في قوله (إلا إياه وبالوالدين) وفي ذلك دلالة على أن طاعة الوالدين من طاعة الله، ففي الحديث: (رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَ سَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الوَالِدِ)[1].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:30].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة جملة (بعباده) على (خبيرا بصيرا)، حيث: (كان) فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر تقديره هو، و(بعباده) متعلّقان بخبيرا بصيرا وهما خبران لكان[2]، وأفاد التقديم هنا الاهتمام بالمتقدم، فالله هو أعلم بأحول عباده وما يليق بكل منهم بحسب ما جلبت عليه نفوسهم، وما يحف بهم من أحوال النظم العالمية التي اقتضتها الحكمة الإلهية المودعة في هذا العالم[3]، كما أن التقديم أفاد أيضا مراعاة الفاصلة القرآنية فكان ختام الآيات التي قبلها على نحو: (صَغِيراً، غَفُوراً، تَبذِيراً، كَفُوراً، مَيسُوراً، مَحسُوراً)، وصولا إلى موضع آيتنا فقدم (بعباده) على (خبيرا بصيرا) لمشاكلة رؤوس الآي.

ويعرف الزركشي الفاصلة بقوله: "الفاصلة هي كلمة آخر الآية"[4]، وهي خلاف السجع قال السيوطي "الفواصل بلاغة، والأسجاع عيبٌ"[5]، فأدّت هذه الفواصل في الآيات السابقة إلى تبليغ الرسائل التي نصت عليها وشدّت الأسماع إليها.

- قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:38].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة قوله (عند ربك) وهو متعلّق بـ (مكروها)، والمكروه أي مذموم عند الله، وتقدّم هذا الظرف على متعلّقه للاهتمام بالظرف إذ هو مضاف لاسم الجلالة (ربّك)، فزيادة (عند ربك مكروها) لتشنيع الحالة، وهذه الآية تذييل للجمل المتقدّمة ابتداء من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: 23]، باعتبار ما اشتملت عليه من تحذيرات ونواهي، فقد نصّت على خمسة عشر تشريعا وهي أصول التشريع الراجع إلى نظام المجتمع.

فجمعت هذه الآية كل ما سبق من التحذيرات والنواهي في حكم واحد وهو ما دلّ اسم الإشارة في قوله تعالى (كلّ ذلك)، والحُكمُ في قوله: (سيّئة)، وزيادة (عند ربك مكروها) لتشنيع الحالة، أي مكروها فعله من فاعله، وفيه تعريض بأن فاعله مكروه عند الله[6].

---

[1] **الجامع الكبير**، الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم [1899]، ج3/ص464.

[2] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص426.

[3] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص86.

[4] **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، ج1/ص53.

[5] **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1، 2008، ج2/ص97.

[6] ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص66 و104.

- قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الإسراء: 39].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة قوله (إليك) على الفاعل (ربُّك) للفعل (أوحى)[1]، والتّقديم هنا بغرض التشريف للنّبي محمد ﷺ، أفاد في الآية الكريمة الامتنان على النبي ﷺ بأنّ الله أوحى إليه وخصّه بالوحي تنبيها على أنّ كثل ذلك لا يصل إليه الأميون لولا الوحي من الله، وأنّه علّمه ما لم يكن يعلم وأمره أن يعلّمه للناس[2]، والحكمة في الآية كلّ ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمة[3].

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء: 39].

بلاغة: تقدم في الآية الكريمة شبه الجملة (مع الله) على المفعول به (إلها)[4] بغرض الحث عليه والحض على القيام به كما أنه أفاد الحصر للاختصاص، وهو أنه لا إله يعبد مع الله إلا إياه سبحانه وتعالى، فنصّت الآية على إفراد الله وتوحيده وجاءت توكيدا لمضمون جملة (ألّا تعبدوا إلا إياه)، وأُعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه وبما رُتّب عليه من الوعيد بأن يجازى بالخلود في النار مهانا[5].

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة قوله تعالى (في القرآن) على (وحده) والأصل فيها (ذكرت ربك وحده) أي ذكرته موصوفا بالوحدانية، و(في القرآن) في الآية جاء بغرض التّخصيص وذلك لمناسبته الكلام على أحوال المشركين في استماع القرآن، أو لأنّ القرآن مقصود منه التعليم والدعوة إلى الدين فخلوّ آياته عن ذكر آلهتهم مع ذكر اسم الله يُفهم منه التّعريض بأنها ليست بآلهة فمن ثم يغضبون كلما ورد ذكر الله ولم تذكر آلهتهم، فكونه في القرآن هو القرينة على أنّه أراد إنكار آلهتهم[6].

- قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ [الإسراء:49].

بلاغة: (الرُّفات) هو ما بُولغ في دقّه وتفتيه وهو اسم مفرد لأجزاء ذلك الشيء المفتت[7]، وتقدّم في الآية الكريمة الظرف في قوله (إذا كنا عظاما) للاهتمام به لأن مضمونه هو دليل الاستحالة في ظنّهم، فالإنكار متسلّط على جملة (إنا لمبعوثون)، وقوّة إنكار ذلك مقيّد بحالة الكون عظاما ورفاتا، وأصل تركيب الجملة (أإنّا لمبعوثون إذا كنا عظاما ورفاتا)[8].

---

[1] ينظر: **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص436.

[2] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص106.

[3] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص116.

[4] ينظر: **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص426.

[5] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص106.

[6] نفسه: ج15/ص119.

[7] **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، ج5/ص452.

[8] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص123.

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:79].

لغة: (ومن الليل فتهجّد به) أي: قم بعد نومك، والتّهجد لا يكون إلاّ بعد النوم، يقال: تهجّد إذا قام بعدما نام، وهجد إذا نام، والمراد من الآية: قام الليل للصلاة، (نافلة لك) أي: زيادة لك، يريد فضيل زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك[1].

بلاغة: تقدّم في الآية الكريمة الجار والمجرور (من الليل) على متعلّقه (تهجّد) بغرض الاهتمام به والتحريض على عليه، وبتقديمه اكتسب معنى الشرط والجزاء فجعل متعلّقه بمنزله الجزاء فأدخلت عليه فاء الجزاء، وهذا مستعمل في الظروف والمجرورات المتقدّمة على متعلّقاتها، وهو استعمال فصيح، ومنه قوله تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:26].

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ [الإسراء:89].

بلاغة: تقدم في الآية الكريمة أحد المتعلّقين بفعل (صرّفنا) على الآخر، وهو تقديم (للناس) على (في هذا القرآن)، حيث أن ذكر الناس أهم في هذا المقام لأجل كون الكلام مسوقا لتحديهم والحجة عليهم، وإن كان ذكر القرآن أهم بالأصالة، إلاّ أنّ الاعتبارات الطارئة تُقدّم في الكلام البليغ على الاعتبارات الأصلية، لأنّ الاعتبارات الأصلية لتقررها في النفوس تصير متعارفة فتكون الاعتبارات الطارئة أعز منالاً، ومن هذا باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، والأظهر كون التعريف في (الناس) للعموم كما يقتضيه قوله (فأبى أكثر الناس إلاّ كفورا)[2].

وفي خلاصة هذا البحث الموجز عن مواضع التقديم والتأخير في سورة الإسراء، يمكننا القول إننا قد تعرضنا لأهم المواضع التي شهدت تقديما وتأخيرا في آياتها وتذكيرا نقول أن ما جاء من أغراض التقديم قد يُحتمل وجود أكثر من غرض وما عرضنا عليه اجتهاد قد يحتمل الخطأ والله ولي التوفيق، وهذا لا يعني أيضا أننا قد اشتملنا على كل مواضع التقديم الذي حملته السورة، فالقرآن كلام بليغ وهو كلام الله بحر لا يحدُّه شاطئ، والسورة غنية بالأساليب البلاغية وجماليات اللفظ والمعنى وكان للتقديم والتأخير أثر بارز في آياتها، كما أنّ السورة تميزت بتراكب آياتها وتلاحم ألفاظها وسعة مدلولاتها وهذا ما اختص به الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب.

[1] **معالم التنزيل**، البغوي، ج3/ص128 و129.

[2] **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ج15/ص204 و205.

خـــاتـــمة

خاتمــة:

التقديم التأخير ظاهرة بلاغية كثيرة الفوائد، جمّة المحاسن، واسعة التصرف، بعيدة الغاية، كان توظيفها في الأشعار العربية جميلا ويروق للمسامع، إلاّ أنه كان في القرآن الكريم أبلغ وأجمل وهذا ما لمسناه في سورة الإسراء، فالتقديم والتأخير كان له أثر كبير في السورة وفي تركيب آياتها، وفي خاتمة بحثنا هذا يمكننا أن نخلص لأهم النتائج التي توصلّنا إليها من خلال ما تطرقنا له:

1_ يعدّ بحث التقديم والتأخير واحدا من جملة المباحث المشتركة بين علمي النحو والبلاغة، فالتقديم والتأخير من الأغراض التي اختصّ بها علم المعاني، وعلم المعاني فرع من فروع البلاغة العربية، إلاّ أنّ دراسة التقديم والتأخير قائمة على الأساس الذي وضعه علماء النحو، فكانت بذلك مشتركة بين النحو والبلاغة، فالنحو يدرس بنية تراكيب الجمل العربية كتقديم الخبر وغير ذلك، وعلم المعاني يدرس مدلولات ذلك التقديم.

2_ لم يكن للجملة العربية عند القدامى ظهور كمصطلح نحوي خاص بها، وإنما كان إيرادها في كتب النحو القديمة بمدلولها اللغوي فقط، فتارة كان يُطلق عليها النثر والحديث وتارة بالكلام، إلاّ أنّهم اتفقوا في تعريفها بأنها كلام أفاد لمعنى وحسن السكوت عليها، وجعلوا لها شروطا وهو توفر عنصري الإسناد (المسند والمسند إليه) وما زاد عن ذلك سمّوه بالفضلة.

3_ مع تطور الدراسات القديمة واجتهاد علماء المدارس النحوية كان من آثار تطورهم ظهور تصنيفات كثيرة وكل مدرسة تبنّت مصطلحا خاصا بها لتدوينه في تلك المصنفات، فانقسم النحويون بين من أخذ الجملة كمصطلح ومن تبنّى لفظ الكلام وجعلها مصطلح يدل على الجملة، وهذا الانقسام ناتجٌ عن التنافس العلمي الذي شهدته المدارس، وعلى هذا الانقسام اختلف فريق جاء من بعدهم فمنهم من يرى أنّ الكلام والجملة مترادفان وهما اسمان لأمر واحد كابن جني، وهناك من فرّق بينهما وجعل لكل واحد منهما تعريفا خاص به ومن هؤلاء نذكر ابن هشام فقد وضع للكل منهما حادا خاصا به وجعل الكلام أعمى من الجملة.

4_ غلب مصطلح الجملة في العصر الحديث على الكلام وذلك لأهميته في الدرس اللغوي الحديث، وذلك لما شهدته اللغات من تطور وظهور للمدارس اللغوية الغربية، فكان على اللغة العربية مواكبة كل ما هو جديد، وهذا ما نلمسه من دراسات المحدثين فقد كان تأثرهم بالدراسات الغربية بارزا في كتاباتهم، فكل واحد منهم استقى دراسة من مدرسة غربية معينة وحاول تطبيقها على اللغة العربية، فحاولوا التجديد ومساير التطور الذي يشهده العالم.

5_ الرتبة النحوية في اصطلاح النحويين هي الموقع المخصص لكل جزء من أجزاء الجملة، فبذلك يمكن معرفة الأصل في الجمل، فالأصل في الجملة الإسمية أن يكون المبتدأ أوّلا ثم يليه خبره، أما الأصل في الجمل الفعلية أن يكون الفعل أولا ثمّ يليه فاعله ثم يليهما ما تعلق بالفعل ويسميه النحاة بالفضلة وهو ما جاء لزيادة المعنى وضوحا كالمفاعيل والتوابع وغيرها.

6_ تتميز اللغة العربية بمرونة في تركيب أجزائها إذ أنها غير محتم عليها الارتباط بأصل الترتيب، فقد يتقدم الخبر على مبتدئه وقد يتقدم المفعول على فعله وفاعله وذلك بحسب ما يقتضيه السياق وحاجة المتكلم من ذلك، وغالبا ما يُسمى الخروج عن أصل الترتيب باللغة الإبداعية.

7_ التّقديم والتّأخير من الأساليب البلاغية المهمة التي اهتمّ بها النحاة والبلاغيون على قدر سواء، وشغلت مباحث كثيرة في كتبهم، فعدّوها من باب الشجاعة والفصاحة، فالمستعمل لهذا الغرض يُبِين على قدرته العالية في ترتيب عناصر الجملة حسب مقتضى الحال، فيقدّم ويؤخّر في الجملة مع المحافظة على صحة التركيب وسلامة المعنى، فينتج عن ذلك بديع دلالة وحسن موقع وبراعة ترتيب، وكل هذا حاصل لفظٍ حُوِّل من مكان لآخر، ويندرج التّقديم والتّأخير تحت فروع علم المعاني وهو من أساليبها.

8_ للغة العربية ضوابط إما توجب التقديم في عناصر الجملة نحو مخافة اللبس ومخافة الوقوع في التوهم، وهناك مواضع الإجازة وهي المواضع التي لا يكون فيها لُبس ويُفهم من النّظم سواء أُقُدِّم فيه أم أُخّر ونحو ذلك في المبتدأ والخبر، فإذا عُرف الخبر من المبتدأ جاز فيهما التّقديم والتّأخير، وهناك مواضع المنع، وهي التي منعها النحاة لأنها لا أصل له عند العرب ولم تُستعمل في كلامهم، ومن تقديم الموصول على الصّلة.

9_ الغاية الأولى والأسمى للتقديم والتأخير تشمل العناية والاهتمام، إلاّ أن البلاغيين وسّعوا في هذا باب كالسكاكي والقزويني والزّركشي وجعلوا للتقديم والتأخير أغراض وأسباب تقتضيه، بين ما قُدّم والنية به التأخير وما قُدّم لا على نية التأخير، وجعلوا له فروع وأقسام وذلك لأهميته وغايته السامية في فهم والتماس بلاغة الخطاب.

10_ سورة الإسراء هي سورة مكية المنزل بالإجماع وعدد آياتها مائة وعشر آية لها تسميات عديدة كسورة سبحان وبني إسرائيل، وهي من قديم ما أُنزل حملت آياتها موضوعات متنوعة حيث تضمنت إشارة إلى حادثة الإسراء النبوي، ومجموعة من الوصايا والأوامر والنواهي، والحِكم الدينية والأخلاقية والاجتماعي، وفيها استطرادات إلى قصص بني إسرائيل التاريخية، وإلى قصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون في معرض التمثيل والموعظة، وفيها حكاية لمواقف الكفار وعقائدهم وأقوالهم وغير ذلك.

11_ سورة الإسراء سورة غنية بالأساليب البلاغية وجماليات اللفظ والمعنى كما أنّ التقديم والتأخير حاز نصيبا وافرا منها وزادها جمالا وبلاغة، كما أنّها تميزت بتراكب آياتها وتلاحم ألفاظها وسعة مدلولاتها وهذا ما اختص به الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب.

هذه أبرز النتائج التي توصّلنا إليها من بحثنا هذا فما كنّا صوابا فيه فهو من الله، وما فاتنا فمِن أنفسنا والله ولي التوفيق والسداد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلا: القرآن الكريم برواية ورش مصدرا، وبرواية حفص تدوينا.

- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ط1، 2008، دمشق، سوريا.
- **أحكام القرآن**، ابن العربي، تح: محمد إسماعيل، دار المنار، ط1، 2002، القاهرة، مصر.
- **أساس البلاغة**، الزمخشري، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، بيروت، لبنان.
- **الأساليب النّحوية، عرض وتطبيق**، محسن علي عطية، دار المناهج، ط1، 2007، الأردن.
- **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن الواحدي، تح: عصام الحميدان، دار الإصلاح، ط2، 1992، الدمام.
- **أسرار ترتيب القرآن**، السيوطي، تح: عبد القادر عطا، دار الاعتصام، ط2، 1978، مصر.
- **الأصول في النّحو**، ابن السراج، تح: الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، بيروت، لبنان.
- **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، ط4، 1995، دمشق، سوريا.
- **إعراب القرآن**، أبو جعفر النحاس، تح: خالد العلي، دار المعرفة، ط2، 2008، بيروت، لبنان.
- **الإعراب عن قواعد الإعراب**، ابن هشام، تح: علي فؤاد نيل، جامعة الرياض، ط1، 1998، الرياض.
- **ألفية ابن مالك في النّحو والصرف**، ابن مالك الأندلسي، سلسلة المتون العلمية، دار الإمام مالك، طبعة مصححة، 2009، الجزائر.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ابن الأنباري، تح: حسن حمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، بيروت.
- **بديع التّراكيب في شعر أبي تمّام–الكلمة والجملة**، منير سلطان، منشأ المعارف، ط3، 2002، الإسكندرية، مصر.
- **البرهان في علوم القرآن**، الزّركشي، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط2، 1972، بيروت.
- **البلاغة العربية– أسسها، علومها، وفنونها**، عبد الرحمن حنبكة، دار القلم، ط1، 1996، دمشق.
- **البلاغة –فنونها وأفنانها**، حسن عباس، دار الفرقان، ط4، 1997، الأردن.
- **بناء الجملة العربية**، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، ط1، 2003، القاهرة، مصر.
- **البيان في روائع القرآن**، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1993، القاهرة، مصر.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ابن جرير، تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط1، 2001، القاهرة، مصر.

- **الجامع الكبير**، التّرمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، بيروت.
- **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، أحمد العامري، تق: بكر أبو زيد، دار الراية، ط1، 1991، الأردن.
- **الجمل**، عبد القاهر الجرجاني، تح: علي حيدر، دار الحكمة، ط1، 1972، دمشق.
- **الجملة العربية– تأليفها وأقسامها**، فاضل السمرائي، دار الفكر، ط1، 2002، عمان.
- **دراسات نقدية في النّحو العربي**، عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصّباح، ط1، 1957، بيروت.
- **دروس في الألسنية العامة**، دي سوسير، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ط1، 1995، تونس.
- **دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم**، محمود المسيري، مكتبة وهبة، ط1، 2005، القاهرة.
- **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط1، 2005، القاهرة.
- **ديوان ابن عبد ربّه**، ابن عبد ربّه، تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط1، 1979، بيروت.
- **ديوان ابن عنين**، شرف الدين أبو المحاسن، تح: خليل مروم بك، دار صادر، ط1، 2000، بيروت.
- **ديوان أبو العتاهية**، أبو العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1986، بيروت.
- **ديوان أبي أسود الدؤلي**، أبي سعيد السكري، تح: محمد آل ياسين، دار الهلال، ط2، 1998، بيروت.
- **ديوان البوصيري**، شرف الدين البوصيري، تح: محمد سيد كيلاني، مكتبة مصفى الحلبي وأولاده، ط1، 1955، مصر.
- **ديوان الشريف الرضي**، الشريف الرضي، تح: محمد الحلو، دار الطليعة، ط1، 1977، باريس.
- **ديوان الفرزدق**، الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، 1987، بيروت.
- **ديوان المتنبي**، أبو الطيب المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1983، بيروت.
- **ديوان حسان بن ثابت**، حسان بن ثابت، تح: علي مهنّا، دار الكتب العلمية، ط2، 1994، بيروت.
- **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، الخُضري، دار الفكر، ط1، 2003م، بيروت.
- **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، الصبان، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، بيروت.
- **الحدود في النحو**، الفاكهي، تح: المتولي رمضان، دار التضامن، ط2، 1988، القاهرة.
- **الكافي في علوم البلاغة**، عيسى العاكوب وسعد الشتيوي، دار الكتب الوطنية، ط1، 1993، بنغازي.

- **الكامل**، لأبي العباس المبرد، تح: محمد أحمد دالي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1986، بيروت.
- **الكتاب**، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1988، القاهرة.
- **اللزوميات**، أبي العلاء المعرّي، تح: أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، ط1، 1982، القاهرة.
- **لسان العرب**، ابن منظور، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، بيروت.
- **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسّان، دار الثقافة، ط1، 1994، الدار البيضاء.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ابن جني، تح: علي نجدي الناصف وآخرون، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط2، 1987، القاهرة.
- **مختصر تفسير ابن كثير**، تح: محمدّ علي الصابوني، شركة الشهاب، ط1، 1990، الجزائر.
- **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، بيروت.
- **معالم التنزيل**، البغوي، تح: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، ط4، 1995، بيروت.
- **معاني القرآن وإعرابه**، الزجّاج، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988، بيروت.
- **معاني القرآن**، الفراء، تح: علي النّجار وأحمد نجاتي، دار الكتب المصرية، ط1، 1955، مصر.
- **معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية**، محمد سمير اللبدي، دار الفرقان، ط1، 1985، الأردن.
- **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مصر–، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، القاهرة.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، تح: مازن المبارك وعلي حمد الله، دار الفكر، ط1، 1964، دمشق.
- **مفتاح العلوم**، السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، بيروت.
- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، الشاطبي، تق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- **المقتضب**، المبرّد، تح: عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1994، القاهرة.
- **من أسرار اللغة**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، ط3، 1966، القاهرة.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، دار الكتب الإسلامية، بدون رقم طبعة، القاهرة.
- **سرّ صناعة الإعراب**، ابن جنّي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، ط2، 1993، دمشق.
- **سيبويه إمام النحاة**، علي النجدي ناصف، دار عالم الكتب، ط1، 2009م، القاهرة.
- **عُجالة الزّاد في شرح ذخر المعاد**، محمّد بن محمود المدني، المكتبة السليمانية للمخطوطات، إسطنبول، رمز [2786].

- **العمدة**، ابن رشيق القيرواني، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط4، 1972، عمان.
- **الفكر البلاغي عند النحويين العرب**، عزام الشجراوي، دار البسير، ط1، 2002، الأردن.
- **في النحو العربي نقد وتوجيه**، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، ط2، 1986، بيروت.
- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، ط17، 1997، القاهرة.
- **صحيح البخاري**، البخاري، تق: محمد شاكر، دار اليقين، طبعة مصححة، 2011، مصر.
- **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، تح: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط7، 2003، بيروت.
- **روح المعاني**، الألوسي، تح: عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، بيروت.
- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل، تح: محمّد محي الدين، دار الفكر، 1974، بيروت.
- **شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ**، ابن مالك، تح: عدنان الدوري، مطبعة العاني، ط1، 1978، بغداد.
- **التحرير والتنوير**، طاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984، تونس.
- **التفسير الحديث**، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 2000، القاهرة، مصر
- **تفسير الرازي**، أبو بكر الرازي، تح: رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط2، 1995، بيروت.
- **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط1، 1970، القاهرة، مصر.
- **تفسير المراغي**، أحمد المراغي، شركة مصطفى البابي وأولاده، ط1، 1946، مصر.
- **التفسير المنير**، الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط2، 1998، دمشق، سوريا.
- **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، مصطفى مسلم، دار القلم، ط4، 2005، دمشق، سوريا.
- **التفسير الوسيط**، محمد سيد الطنطاوي، دار النّهضة، ط1، 1998، القاهرة، مصر.
- **التلخيص في علوم البلاغة**، القزويني، تق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 2003م، القاهرة، مصر.
- **الخصائص**، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، 1998م، بيروت.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدّمة.....أ

مدخل.....1

أولا: مفهوم علم النحو 2

ثانياً: مفهوم علم المعاني.....3

ثالثاً: علاقة علم النّحو بعلم المعاني 4

الفصل الأول: التّقديم والتّأخير في تركيب الجملة العربية.....6

أولا: الجملة العربية عند القدامى والمحدثين 7

1. الجملة العربية عند القدامى.....7

2. الجملة العربية عند المحدَثين.....13

3. الرّتبة النّحوية في الجملة العربية.....19

ثانياَ: مواضع التقديم والتأخير وأثره البلاغي 24

1. مفهوم التّقديم والتّأخير.....24

2. مواضع التّقديم والتّأخير وموانعه.....28

3. أسباب التّقديم والتّأخير وأثره البلاغي.....35

الفصل الثاني: بلاغة التقديم والتأخير في سورة الإسراء.....41

أولا: خصائص سورة الإسراء وأفضالها.....42

1. التّعريف بالسورة وأسباب نزولها.....42

2. موضوعات السورة ومقاصدها 44

3. المناسبات في السورة وأفضالها.....45

ثانيا: التقديم والتّأخير في سورة الإسراء 48

1. التقديم والتأخير في الجمل الإسمية 48

2. التقديم والتأخير في الجمل الفعلية.....55

3. التقديم والتأخير في أشباه الجمل 60

خاتمــة.....65

قائمة المصادر والمراجع.....68

فهرس المحتويات.....Erreur ! Signet non défini.